



المميزيات الدخيلية

مجلة فصلية - العدد ٣١ (مايو - أغسطس ٢٠٢٠)

ALTIMOLUK

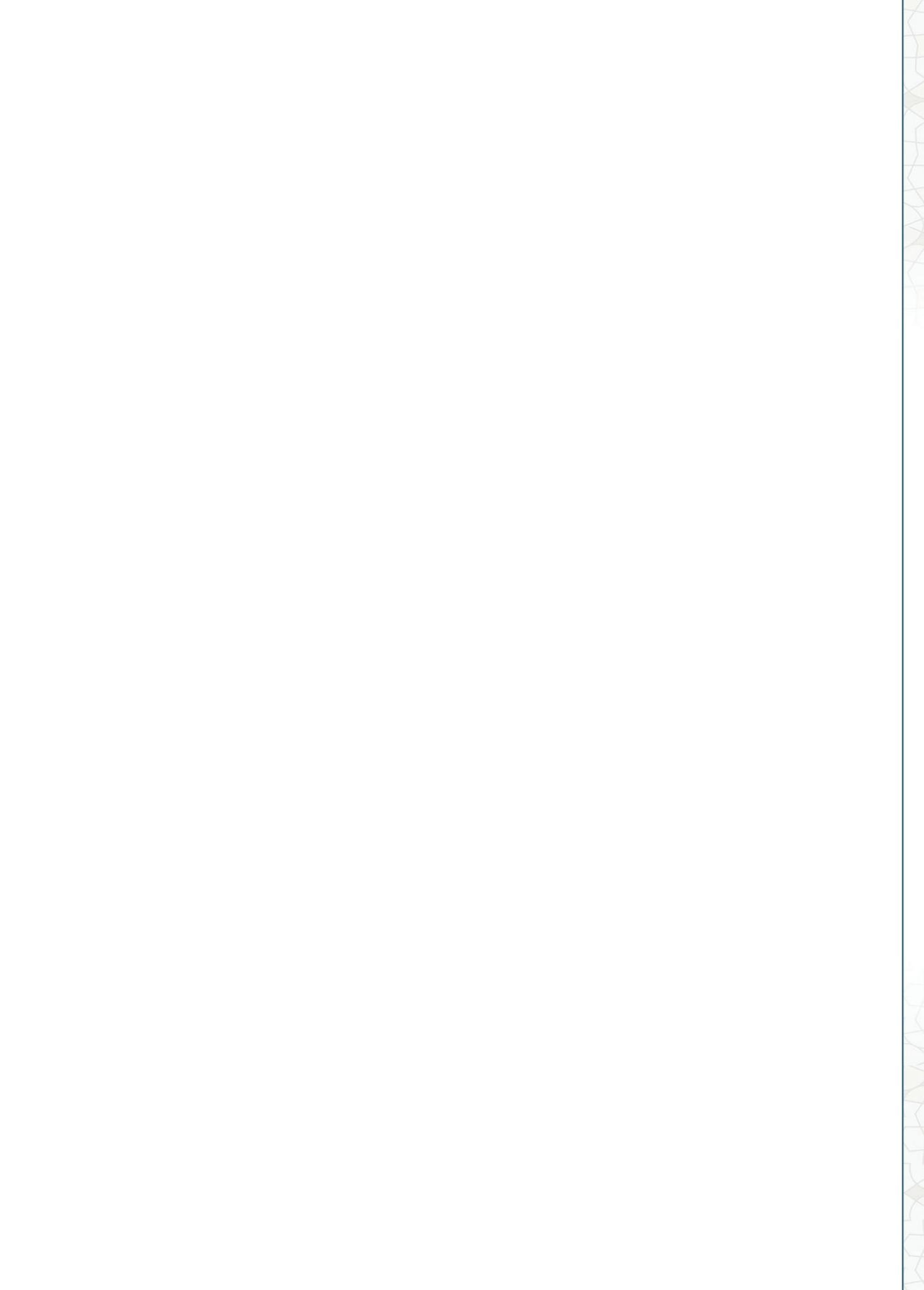
إنها جبهة للعدو: الفروع الاجتماعية

قال الله تعالى:

﴿وَلَا ضَلَّعْنَهُمْ وَلَا مَنِّعَهُمْ وَلَا مَرَّتَهُمْ فَلَيَتُنَكَّنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرَّتَهُمْ فَلَيُغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ
وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرًا مُبِينًا﴾

(النساء: ١١٩)







أيها الأخوة القراء:

في ظل الأزمة الحالية التي يعيشها العالم بسبب بمرض الكورونا، أحببنا أن نتطرق إلى خلق عظيم يحتاجه المسلم للتخلق فيه في ظل هذه المعاناة ألا وهو خلق الصبر، فكما تعلمون للصبر معان عدة منها المحافظة على التوازن أمام الأحوال المادية والمعنوية المتبدلة، وصيانة الاعتدال، وإظهار التحمل على الابتلاءات، واحتمال المعاناة، ومقاومة المحن والمشاق برباطة جأش، وإبقاء المشاعر البشرية ثابتة في إطار الحدود العقلية والدينية. والمتانة هي المتانة والثبات أمام كل أنواع المصائب الحائلة بالمرء وقوة التحمل والصلابة.

ثم إن الصبر مركز الأخلاق الحميدة، وشرط الإيمان، ومفتاح السعة والسعادة، وفضيلة عظيمة تصل بالمرء إلى نعم الجنة، والصبر التمتع بالسكينة من دون إفساد التوازن تجاه الحوادث التي تبعث الاستياء وتتسبب بالضيق، والاستسلام للحق تعالى.

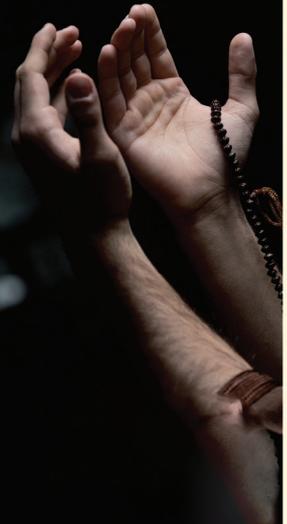
لقد كان الأنبياء والأولياء يظهرون نماذج بالغة الروعة في شأن الصبر حتى ظفروا بعون الله تعالى؛ فعلى سبيل المثال صبر سيدنا أيوب عليه السلام على المرض الذي أصبح يضرب به المثل على قوة صبره، ولذا فينبغي أن يكونوا الأنبياء قدوتنا في أمر الصبر. وإن الناحية الدنيوية للصبر أليمة، وناحيته الأخروية مشرقة، فالذين يتحملون آلام الصبر في صدورهم يصلون إلى دولة الأبدية والتي هي الجنة ويبلغون رضا الله تعالى. وعلى أي حال فإن التفكير بالنعمة والحكمة والجزاء الإلهي لأوامر الله تعالى ونواهيهِ يُسهِّل الصبر. وأول شرط الصبر إظهاره في بداية الحادثة التي تستلزمه، فالصبر إن لم يتم إظهاره في وقته لا مكافأة كبيرة له.

إن مكانة الصبر -الذي يدخل في بنية جميع الأخلاق الإسلامية- عظيمة جداً، يتطرق القرآن الكريم في أكثر من سبعين موضع فيه إلى الصبر، ويوصي النبي ﷺ -ومن خلاله جميع أمته- بالصبر في الآيات الكريمة على النحو التالي:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٣)
ويخبرنا عليه الصلاة والسلام إن الله تعالى يقول:

«إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة» (البخاري، المرضي، ٧/ ٥٦٥٣)
فالصبر من أهم مبادئ ديننا، وامتحان الصبر من أصعب الاختبارات، ولذا يقول أبو بكر ﷺ:

«إن التمتع بالعافية أفضل عندي من التعرض للامتحان والصبر عليه».



المحتويات

الميزاب الذهبي

مجلة تصدر كل أربعة أشهر

العدد الواحد الثلاثون
(مايو-أغسطس ٢٠٢٠)

رئيس التحرير

بيت الله دميرجي أوغلو

مدير التحرير

حسام يوسف

هيئة التحرير

بيت الله دميرجي اغلوا

حسام يوسف

آدم أزمير

د. مراد قايا

التصحيح والتدقيق اللغوي

أ. حسن مرشد

أ. طارق أحمد

التصميم والتنضيد والخراج الفني

حسام يوسف

دار النشر والطباعة

İkitelli Organize Sanayi Bölgesi Mahallesi
Atatürk Bulvarı Haseyad 1. Kısım No: 60 / 3C
Başakşehir - İstanbul / TURKEY
Tel:+90 212 671 07 00 Faks:+90 212 671 07 48

الإشتراك

لكي تصلكم المجلة بشكل دوري
يمكنكم الإشتراك سنوياً بمبلغ ٣٠ دولار
كما يمكنكم المساهمة بإرسال المقالات
والملاحظات على عناوين المجلة

للمراسلة

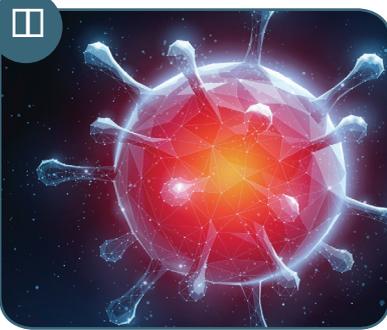
www.islamicpublishing.org
almizab2011@hotmail.com
almizab2011@gmail.com



لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
سنا دميرجي



النوع الاجتماعي
محمد لطفي أرسلان



فايروس كورونا ومنهج الإسلام
المحامي. عاصم مرتند



العلامات الفارقة لتخصية المسلم
الأستاذ: عثمان نوري طوبان

- | | | | |
|---|----------------------------------|---|---------------------------------------|
| □ | الشكر على الروحانيات | □ | كلمة التحرير |
| □ | العلامات الفارقة لشخصية المسلم | □ | النوع الاجتماعي |
| □ | وقفات وتأمّلات مع تبعات كورونا | □ | جعل الحرية للدين والوجدان ركيزة |
| □ | فايروس كورونا ومنهج الإسلام | □ | الفاخرة |
| □ | وجهة نظر! | □ | الجودة |
| □ | جزيرة الجمال (دهانستان) | □ | العلاقة بين الإنفاق والتقوى في القرآن |
| □ | رسالة إلى ابنتي | □ | لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون |
| □ | العلم والحلم أو المعرفة والفضيلة | □ | أهمية الشباب و مشكلة الهوية |
| | | □ | الثبات على الدين |

ملاحظة: المقالات المنشورة في هذه المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

النوع الاجتماعي جبهة للعدوي

لما تعرض للجنة الله تعالى وطرده من رحمته قال:
﴿وَلَا ضَلَّٰنَهُمْ وَلَا مُمْسِكِينَ وَلَا مَرْثَهُمْ فَلْيَتَّكُنْ آذَانَ
الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْثَهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ
الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾
[النساء: ١١٩]

يتبين لنا من الآية المباركة أن الحرب التي أعلنها
الشیطان وأعدائه على بني البشر والتي ستبقى قائمة
حتى يوم القيامة إنما تتكون من ثلاث جهات رئيسية.
وهي:

١. تضليل الإنسان وإغراقه بالأمانى الفارغة.
٢. حملهم على تبتك آذان الحيوانات.
٣. دفعهم إلى تغيير خلق الله تعالى.

لقد وصف القرآن الكريم الشيطان بالغاوي
والمضلل. فهذا المضلل المنتظر إلى وقت معلوم
يعمل على دفع الإنسان إلى الخسران الأبدي المبين
بمختلف الوسوس، والمكائد والهمسات. فيأمر
بالخبائث، ويزين سوء الأعمال في أعين من يفعلها.
ويحاول الإيقاع بهم في أودية الضلال والانحراف التي
لا رجعة لهم منها. يقعد على الطريق المستقيم ويأتي
الناس عن اليمين والشمال، ومن أمامهم ومن خلفهم
هامساً في آذانهم بوعود كاذبة واهية.
يريهم الشرور محاسناً، وينسيهم،
ويملي عليهم الأكاذيب. يتسلل
إلى صفوف الناس فينشر بينهم
الحقد والحسد، والعداوة والبغضاء،
ويخيفهم بالفقر والعوز.



يمكننا القول أن هذه الجبهات الثلاثة التي لن نتوقف أبداً إنما هي مصدر مختلف الشرور المنظمة التي تسعى للهيمنة على الإنسان ومستقبله وأخذهما رهينة في عصرنا الحالي. وعلى ذلك بإمكاننا توضيح أو تفسير هذه الجبهات التي توعد الشيطان وأعوانه الله بفتحها على الإنسان وفق ما يأتي:

١. الإغراق بالأمني الفارغة؛ هو جنون الاستهلاك الذي ظهر بناء على الاحتياجات المتخيلة والمختلقة والظنون الواهية، والقائم على محور قوامه ثلاثة أشياء نهمة لا تعرف الشبع هي الشهوة، والسرعة، والجشع.

٢. تبتيك آذان الحيوانات؛ وهي الأغذية المعدلة بتغيير الجينات الوراثية وعمليات الاستنساخ عن طريق خلايا الأذن كما في حالة النعجة دوللي.

٣. تغيير خلق الله؛ وهو التلاعب بالطبيعة الجنسية لدى المرأة والرجل، ومحاولة تكوين إنسان خارق فوق الجنس، والعلاقات الجنسية المخالفة للفطرة تحت ذريعة حرية الميول الجنسية ومحاولة شرعنة زواج الشاذين "المثليين" جنسياً.

وهذه الحرب المستمرة على ثلاث جبهات والمستهدفة مستقبل النوع البشري سوف تستخدم أدوات وتببع استراتيجيات مختلفة في كل زمان ومكان. ونعلم أنه سوف تبذل جهود ومساع لمحاولة إظهار هذه العملية بمظهر إيجابي لدى الناس، وتزيين النتائج المدمرة التي تسبب بها في نظرهم بغض النظر عن الأدوات والوسائل والاستراتيجيات المستخدمة والمتبعة. والنقاشات التي تدور في الفترة الأخيرة حول كيفية تنفيذ هذه العملية والأدوات المستخدمة فيها تقدم لنا مثلاً ملفتاً للأنظار في مسألة تغيير الخلق التي



تُعد الجبهة الثالثة للحرب. وتحدث هنا عن النقاش أو الجدل الذي يدور حول مفهوم أو مصطلح النوع الاجتماعي. فهذا المفهوم الجديد الذي يسعى إلى إعادة تعريف الجنس من جديد وجُعل مصدر الإلهام في رسم سياسات المجتمع العامة تحت مسمى المساواة يختبئ خلف شعارات بريئة ومحقة مثل نبذ العنف تجاه المرأة بهدف إخفاء غايته الأساسية الشيطانية المتمثلة بتغيير الخلق.

ما هو النوع الاجتماعي؟

يخبرنا الله عز وجل في القرآن الكريم أنه خلق الإنسان من ذكر وأنثى حيث يقول:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ [الحجرات: ١٣]

فمفهوم الجنس حالة طبيعية وفطرية حدده الله عز وجل، ويظهر الفوارق البيولوجية بين الجنسين الذكر والأنثى. إلا أن الذهنية التي لم تكتف بهذا الأمر وتركز أو تبني فكرة إمكانية إحداث تغييرات في الميول الجنسية لدى الناس عملت على إنتاج مفهوم "الجنس الاجتماعي" تحت ذريعة أنها تدافع عن التمييز ضد المرأة. يركز مفهوم الجنس الاجتماعي الذي يعبر عنه في اللغة الإنكليزية بـ "Gender" على الأدوار الاجتماعية للرجل والمرأة، ومكانتهما في المجتمع لإيجاد مفهوم أو تعريف جنسي يتجاوز الفوارق البيولوجية التي خلقها الله تعالى. يطل مفهوم الجنس الاجتماعي برأسه من خلال طرحه القائل أن المرأة تركت عبر التاريخ مضطهدة ضعيفة أمام الرجل، وأن فوارق القوة بين الجنسين دائماً ما تطورت واستخدمت ضد المرأة، وحسب هذا المفهوم فإن الجنس ليس قدراً محتوماً على الإنسان؛ وإنما يخضع لحرية الاختيار. فليس المهم أن يُخلق أو يولد الإنسان ذكراً أو أنثى، وإنما المهم ما الذي يشعر به في نفسه. حيث أن الثقافة والقيم والمجتمع الذي نعيش فيه يسند إلينا في الحقيقة الأدوار المحددة بالخلق على شكل قوالب معينة ضد المرأة، فمثلاً يُعطى الطفل ألعاباً على شكل سيارة، بينما تعطى



إنما تشتمل على الإسناد/الإرغام (!) شأنها كشأن الجنس الفطري، وبناء على ذلك فإن العائلة ليست سوى أداة لمنع الناس من ممارسة حرياتهم واستخدام إرادتهم، وتدجينهم وفق القوالب الموجودة. فيجب نشر وعي الجنس الاجتماعي، وإعادة إنتاج العائلة التي تشكل عائقاً أمام شرعنة مختلف الميول الجنسية، وإتاحة المجال أمام الناس لتبني مختلف الأدوار دون أي عائق، والتحول إلى أي شيء يرغبون به دون قيود ومسؤولية. وبذلك يمكن تكوين عائلات واسعة من خلال زواج المثليين، وتبني الأطفال.

الطفلة دمية. وكذلك يتم استحسان المرأة التي تلقى قبولاً في بعض التصرفات بعبارة "امرأة كالرجال"، بينما يتم استقباح الرجل الذي يأتي تصرفاً مذموماً بوصفه بعبارة "هذا الرجل مثل النساء". ولا يمكن تحقيق المساواة دون القضاء بشكل كامل على هذا النوع من القوالب والقرارات المسبقة التي تعمق التمييز بين الرجل والمرأة. ومن الواضح أن هذا الأمر عملية شاقة وطويلة تحتاج إلى تعبئة وحشد لإمكانات كبيرة، لأن تغيير المجتمع ليس بالأمر السهل. ويجب أن تستمر هذه الحملة والتعبئة الشاملة التي ستبدأ

إن الجنس الاجتماعي خطة شيطانية خبيثة تختبئ خلف قناع تحقيق المساواة والقضاء على العنف ضد المرأة. وتعد الكرة الأرضية بأكملها ساحة معركة لهذه الخطة التي أعلنت حرباً على النوع البشري، والأدوار التي أسندها الله تعالى إليه، والفضيلة السليمة، والعائلة.



إن الجنس الاجتماعي خطة شيطانية خبيثة تختبئ خلف قناع تحقيق المساواة والقضاء على العنف ضد المرأة. وتعد الكرة الأرضية بأكملها ساحة معركة لهذه الخطة التي أعلنت حرباً على النوع البشري، والأدوار التي أسندها الله تعالى إليه، والفضيلة السليمة، والعائلة. ويجب علينا أن نعرف أن هذه الخطة لها استراتيجية معينة. وهذه الاستراتيجية تعمل بشكل واع ومنظم وهادف لتحقيق غاياتها على ثلاثة أماد، بعيد ومتوسط وقريب. فعلى المدى البعيد تهدف إلى إفساد النسل البشري، وأما على المدى القريب والمتوسط فتعمل على تمزيق القيم، والأدوار وطريقة التفكير القديمة والقضاء عليها وإزالتها من الأذهان مع مرور الزمن. فالسياسة الرئيسية معروفة، وهي: الانطلاق من حجج مشروعة مثل الحد من العنف لتأمين تحويل مفهوم الجنس الاجتماعي المؤسس على تلك الأرضية المشروعة إلى مفهوم عام يتبناه غالبية الناس. وتحول

بحجج وأهداف مشروعة مثل إزالة العنف ضد المرأة حتى تأمين المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة في مختلف المجالات، مثل الحصول على التعليم وخدمات الصحة، العمل، والمشاركة في الحياة السياسية. والهدف النهائي هو إبعاد القيم والأدوار والقرارات القائمة على الجنس عن كونها

مصدراً للتمييز والاختلاف، والوصول إلى مجتمع "للجنسين/وحيد الجنس" حيث لا يتمتع فيه النوع بأي أهمية.

العدو داخل العائلة

إن خطة أو مشروع المجتمع اللاجنسي خطة معادية للفضيلة السليمة والنوع البشري نظراً للغاية النهائية لهذه الخطة والتي تستهدف إلغاء القيم، والأدوار وطرائق التفكير القديمة الخاصة بالمرأة والرجل. فهي تتجاهل الفوارق بين الجنسين اللذين خلقهما الله تعالى على شكل ذكر وأنثى، وتنطلق من مسألة التمييز اعتماداً على معاملة أحد الجنسين للآخر. وإن مؤسسة العائلة التي يؤسسها كل من المرأة والرجل في إطار الأدوار المسندة إليهما إنما هي مؤسسة إشكالية حسب وجهة النظر هذه. فهذه المؤسسة القائمة على الأدوار المختلفة الخاطئة مصدر للعنف. فالأدوار أو الأوصاف المنسوبة إلينا داخل هذه المؤسسة مثل الأب، والأم، والابن، والابنة

هذه المسألة إلى مفهوم عام وأساسي سوف يؤدي إلى حلول القيم الجديدة المصطنعة مثل المساواة بين الرجل والمرأة، وكون الجنس شيء اختياري لا ما يُخلق عليه الإنسان محل القيم والمفاهيم القديمة. وعندما يلقي مفهوم الجنس الاجتماعي مثل هذا الرواج والانتشار في المجتمع فسوف يجلب معه حرية الميول الجنسية، ويكتسب مفهوم الجنس الثالث المشروعية، ويتحول زواج الشواذ "المثليين" إلى أمر طبيعي، وتنتشر المظاهر التي لا يعتد فيها بالجنس وأبسط أمثلتها بيوت الخلاء التي لا يخصص فيها أقسام خاصة للرجال والنساء، وسوف تنتقل الحياة إلى نمط أو طور جديد لا يُعار فيه مسألة الجنس أهمية قبولاً واستحساناً. وأول خطوة من أهم خطوات هذه الاستراتيجية الخبيثة، والبعيدة المدى التي تخطط لأهدافها ليس في بلادنا فحسب وإنما في العالم أجمع أُلقيت باتفاقية اسطنبول التي وقعت عليها بلادنا وتولت فيها دور الريادة.

الحقيقة المستترة خلف العنف ضد المرأة

إن الأحداث التي تؤمّن بقاء مسألة المساواة في الجنس أو النوع الاجتماعي حية وقيد التداول يومياً هي حوادث العنف ضد المرأة والتي تشكل نقطة انطلاقها. فردة الفعل التي تولدها هذه الحوادث في الوجدان العام تساعد على انتشار سياسات النوع الاجتماعي، ويتم تأمين أرضية صلبة لهذه السياسات مع كل امرأة تتعرض للعنف. وقد يبدو مدعاة للتهكم إلا أن وضع حد للعنف أو التقليل منه في الواقع حالة غير مرغوب بها من زاوية الحفاظ على قضية الجنس الاجتماعي قيد التداول. وهنا قد

يكون من المثير للتساؤل عما إن كانت هذه السياسات ناجعة أم لا. فهل السياسات الرامية إلى المساواة في النوع الاجتماعي سياسات من شأنها التقليل بالفعل من العنف والتمييز ضد المرأة؟ في الحقيقة نعتقد أنه من الخيال انتظار نتائج إيجابية من هذه السياسات التي نعتقد أساساً أنها قائمة على التمييز لكونها تركز على محور المرأة والجنس. وبطبيعة الحال فإن المشهد السائد في الدول التي تطبق هذه السياسات منذ سنوات طويلة يقدم لنا بيانات تؤكد اعتقادنا هذا. حيث تشير الدراسة التي أجراها مركز الأبحاث الاجتماعية والثقافية والاقتصادية حول هذه المسألة أن الوضع القائم في الدول الأربعة (آيسلندا، وفنلندا، والنرويج، والسويد) الأكثر والأفضل تطبيقاً للسياسات المتعلقة بالمساواة في الجنس الاجتماعي ليس بالوضع المبشر أبداً. فعند دراسة المتغيرات المتعلقة بما في هذه الأربعة من نسب الزواج والطلاق، والعنف ضد المرأة، وبنية الأسرة وتماسكها، ونسب تناول المشروبات الروحية والمواد المخدرة تبين الحالة خلال الخمسين سنة الأخيرة لم تقف عند حد عدم التحسن فحسب، وإنما انحدرت نحو الأسوأ. فقد ازدادت نسب الطلاق في هذه الدول بأكثر من ١٠٠٪، بينما شهد الزواج تراجعاً بنسبة كبيرة. وكذلك أشارت النتائج إلى أن قرابة نصف الأطفال في هذه الدول ذاتها، وفي بعضها أكثر من نصف الأطفال ولدوا من العلاقات الجنسية خارج الزواج. ومن الملفت للانتظار أيضاً هو استمرار مسألة العنف ضد المرأة



إن عمليات تغيير خلق الله والتي لم تكن معروفة من قبل، ولم يذكرها أي كتاب تاريخي، ذكرها القرآن قبل أربعة عشر قرناً، وذلك في قصة إبليس عندما طرده الله تعالى من الجنة فتعهد أنه سيأمر الناس ليغيروا خلق الله، وقد حقق ذلك، يقول الله تعالى على لسان الشيطان:

﴿وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾

[النساء: ١١٩].

وبالفعل تمكن الشيطان من إضلال الناس وتغييرهم لخلق الله تعالى ظاهرياً، ولكن تبقى الفطرة والخلق الأصلي والعاطفة لا يمكن تغييرها.



إن الخطة الميitte والشاملة الهادفة إلى ارتهان مؤسسة العائلة ومستقبلنا تحت عنوان المساواة في النوع الاجتماعي سوف تصيب رؤوس أعصاب المجتمع بالشلل، ومن بعدها ينبغي أن نفسح المجال أمامها لتشتت أنظارنا وانتباهنا من خلال التركيز على بعد أو جانب واحد كالعنف ضد المرأة. فالمساواة في الجنس الاجتماعي التي اكتسبت طبيعة عالمية عن طريق جهود ما يعرف بحركة الفيمنست/ النسوية ما هي إلا جبهة خبيثة من جبهات الحرب المعلنة على نوعنا البشري، وشرفنا وكرامتنا، ومستقبلنا. ويسعى الذين فتحوا هذه الجبهات إلى تشكيل مستقبلنا والتحكم به من خلال التستر خلف مفاهيم ومصطلحات براقية مثل المساواة، والحق، والعدالة، والتعرض للاضطهاد والظلم. فهذه الخطة المتمثلة بجنون الاستهلاك والتدخل في الجينات البشرية والتلاعب بها واحدة من الجبهات الثلاثة المفتوحة في معركة الحق والباطل المستمرة منذ عهد سيدنا آدم عليه السلام وحتى اليوم، ومن واجب كل فرد منا عدم السماح لهذه الخطة بتنفيذها أهدافها بالسياسات الناعمة والمتخفية والمنفذة بأيدي ثلة من الخونة والغافلين ومنعدي الأخلاق، ومن ثم الحيلولة دون التخريبات الخبيثة التي قد تلحقها بمستقبلنا، ونسلنا، وشرفنا وكرامتنا.

باعتبارها من أهم المشكلات الاجتماعية في هذه الدول. ومن الدلائل الأخرى التي تثبت عدم تحقق النتائج المرجوة من السياسات الجنسية الاجتماعية والجهود المنصبة على المساواة بين الرجل والمرأة هو ارتفاع نسبة الانتحار بدرجة كبيرة بين النساء والشباب.

الحذر من التشويه

نذكر مرة أخرى بأن الخطة المتبعة تحت مسمى المساواة في الجنس الاجتماعي إنما هي خطة عالمية طويلة الأمد تحمل في داخلها عداوة ضد النوع البشري. ويجري تشويه كل متعلق قد يعارض هذه الخطة والتشويش عليه من خلال إثارة قضايا حساسة مثل العنف ضد المرأة، وأما من يخوض في هذه النقطة بحسن نية في الأساس فإنه ينحرف إلى وجهة مناقضة حيث يصبح دون إرادة منه مجنداً في هجمة شاملة ضد النوع البشري. إن اختصار قضية شائكة متشعبة الأطراف تبدأ بالمساواة بين الرجل والمرأة لتنتقل إلى حرية الميول الجنسية، وتمتد منها إلى مشروع إنشاء مجتمع لا جنسي، اختصارها في قضية العنف ضد المرأة أمر مثير للانتباه. حيث يريد أناس رمي العصبي في العجلات وعرقلة سيرها من خلال التشويه وتشتيت الأنظار. ولا يريد أنصار هذه الخطة مناقشة الأبعاد الخطيرة والوخيمة للمسألة، ولا البحث في الفوائد والأضرار الاجتماعية للمجتمع الذي يتم تصوره في هذه الخطة، وإنما يفضل المدافعون عنها الالتزام بالصمت. وربما يعتقدون أن مناقشة المسألة من جهة واحدة، وبقاؤها عند بُعد عاطفي كالعنف ضد المرأة من شأنها إخفاء الهدف الأساسي للتوجه القائم على الجنس الاجتماعي. ولعلمهم سوف يخرجون منتصرين بقدر ما يقل الحديث عن مسألة الجنس الاجتماعي، ويتم اختصارها في بعد عاطفي مثل العنف ضد المرأة. وعلينا الإدراك أن كسبهم إنما سيكون على خسارتنا وخسارة أبنائنا.

جعل الحرية للدين والوجدان ركيزة

(١٠)

الدكتور: مُراد كيا

بمعجزة القرآن الكريم وربط الإنسان به من خلال إظهار القوانين العقلية والأدلة المقنعة، وبالتالي هو لم يستخدم الإكراه المادي كوسيلة من الوسائل مطلقاً. ثم إن استخدام الإكراه في الدين يسوق الناس عموماً إلى النفاق الذي يعد أخطر من الكفر الظاهر، والعبادة المؤداة بلا إخلاص والمشرّبة بالرياء والعجب مردودة على صاحبها.

عن الحسن بن علي بن أبي رافع أن أبا رافع أخبره قال: بعثتني قريش إلى رسول الله فلما رأيت رسول الله ألقى في قلبي الإسلام، فقلت: يا رسول الله إني والله لا أرجع إليهم أبداً. فقال رسول الله ﷺ:

«إِنِّي لَا أَحِسُّ بِالْعَهْدِ وَلَا أَحِسُّ الْبُرْدَ، وَلَكِنْ أَرْجِعُ فَإِنْ كَانَ فِي نَفْسِكَ الَّذِي فِي نَفْسِكَ الْآنَ فَارْجِعْ»

قال: فذهبت ثم أتيت النبي فأسلمت. (أبو داود، الجهاد، ١٥١) وفي الموطأ عن ابن شهاب أنه بلغه أن نساء كن في عهد رسول الله ﷺ يسلمن بأرضهن، وهن غير مهاجرات، وأزواجهن حين أسلمن كفار. منهن بنت الوليد بن المغيرة. وكانت تحت صفوان بن أمية. فأسلمت يوم الفتح. وهرب زوجها صفوان بن أمية من الإسلام. فبعث إليه رسول الله ﷺ ابن عمه وهب بن عمير. برداء رسول الله ﷺ. أماناً لصفوان بن أمية. ودعا رسول الله ﷺ إلى الإسلام. وأن يقدم عليه. فإن رضي أمراً قبله. وإلا سيره شهرين، فلما قدم صفوان على رسول الله ﷺ بردائه، ناداه على رءوس الناس، فقال: يا

لقد بين الحق تعالى للإنسان الذي خلقه حراً ووضع فيه الشعور الصواب والخطأ، ومنحه حرية الإرادة وملّكه إياها فكل أحد يرجح ما يرجحه بحرية إرادته وسيتمل بنفسه عواقب ما رجّحه يقول الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس، ٩٩)

﴿...فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ...﴾ (الكهف، ٢٩)

﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ (الزمر، ٧)

عن ابن عباس ؓ قال: كانت المرأة تكون مقلاتاً - لا يعيش لها ولد- فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده، فلما أجليت بنو النضير -لنقضهم العهد مع المسلمين- كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا: لا ندع أبناءنا، وأرادوا أن يكرههم على الإسلام، فأنزل الله ﷻ:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...﴾ (البقرة، ٢٥٦)

(أبو داود، الجهاد، ١١٦ / ٢٦٨٢؛ الواحدي، أسباب نزول القرآن، ٨٥، ٨٧)

إن الإسلام لا يريد أن يلزم الناس بمبادئه ولذا هو يتحاشى كل أساليب الإكراه والقهر حتى الإلزام الفكري، فمثلاً: لم تكن المعجزة من الوسائل الأساسية في نشر الإسلام، ولم يكن طلب وقوع الحوادث الخارقة للعادة مرحباً به من النبي ﷺ، وبما أن الإسلام تزامن مع تطور الجنس البشري لذا خاطب العقل والذهن

أنه رجع عن رأيه لما اعترض الناس، وكذا عبد الملك بن مروان عجز عن إرضاء غير المسلمين على الرغم من إعطائهم الكثير من الأموال، وأما الوليد بن عبد الملك فمع إعطائه كمية كبيرة من المال وتقديمه بدائل مختلفة لم ترضهم أيضاً قام بهدم الكنيسة وألحقها بالمسجد وعندما رُفِع هذا الأمر إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز تحقق منه وقرر إعادة المكان إلى أصحابه بعدما عرف أنهم على حق ولكن المسلمين هذه المرة لم يسرهم تحويل مسجدهم إلى كنيسة فقام عمر بن عبد العزيز بمقابلة غير المسلمين وأنهى المشكلة بتبرعه لهم بجميع كنائس الغوطة التي فتحها المسلمين. (انظر: ب، د، م، حميد الله، مدخل إلى الإسلام، ص، ٢٣٧)

وكتب فيليب مارشال براون، المؤرخ البريطاني:

«إن الأتراك على الرغم من تحقيقهم انتصاراً كبيراً فإنهم سمحوا لشعوب جميع الدول في إدارة نفسها بنفسها وفقاً لعاداتها وتقاليدها الخاصة بها بسخاء».

عندما هاجم نابليون بونابرت عام ١٧٩٨-١٧٩٩

الدولة العثمانية، أراد تخريض الأرمن الذين يعيشون في فلسطين وسوريا. فرد عليه سباستيان السفير الفرنسي في اسطنبول:

«إن الأرمن سعداء جداً في حياتهم هنا ومن المستحيل إحداث التمرد».

محمد إن هذا وهب بن عمير جاءني بردائك. وزعم أنك دعوتني إلى القدوم عليك. فإن رضيت أمراً قبلته، وإلا سيرتني شهرين. فقال رسول الله ﷺ: «أَنْزَلَ أَبَا وَهْبٍ» فقال: لا والله. لا أنزل حتى تبين لي.

فقال رسول الله ﷺ: «بَلْ لَكَ تَسِيرٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ»

فخرج رسول الله قبل هوازن بحنين. فأرسل إلى صفوان بن أمية يستعيه أداة وسلاحاً عنده. فقال صفوان: أطوعاً أم كرهاً؟ فقال: "بل طوعاً"، فأعاره الأداة والسلاح الذي عنده. ثم خرج صفوان مع رسول الله ﷺ وهو كافر فشهد حيناً والطائف وهو كافر، وامرأته مسلمة، ولم يفرق رسول الله بينه وبين امرأته حتى أسلم صفوان. واستقرت عنده امرأته بذلك النكاح. (الموطأ، النكاح، ٤٤-٤٥)

قال ابن إسحاق: لما قدم وفد نجران على رسول الله ﷺ دخلوا عليه مسجده بعد صلاة العصر، فحانت صلاتهم فقاموا يصلون في مسجده، فأراد الناس منعهم، فقال رسول الله ﷺ: "دعوهم" فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم (انظر: ابن هشام، سيرة النبي، بيروت ١٩٣٧، ٢، ٢٠٢-٢٠٧؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار صادر، ١، ٣٥٧؛ البيهقي، دلائل النبوة، ٤، ٣٨٢-٣٨٧؛ الخليلي، إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، ٣، ٢٣٥)

وفي عهد عمر رضي الله عنه قام أبو عبيدة بن الجراح بمعاودة أهالي حمص النصارى وسلموه المدينة مقابل الحفاظ على أنفسهم وأموالهم وأسوارهم وكنائسهم ونواعيرهم، واستثنى من المعاهدة شرط تحويل ريع كنيسة يُوَحَّنًا إلى مسجد، وعندما استلم معاوية الخلافة أراد ضم هذه الكنيسة إلى المسجد الموجود في دمشق إلا



الفاتورة

قال الله تعالى:

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا

كُلَّ بَسْطٍ فَتَقْعَدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾

(الإسراء: ٢٩)



أجمع. فهذا منهج حياة وليس بالنمط الاختياري، إذ أنه هو مقتضى الإسلام، لا بل شرطه حتى.

إن الرغبة بالتملك وكسب المال وادخاره رغبة أودعها فينا خالقنا عز وجل. فحب المال ليس بالأمر الذي نلام فيه أو نستقبح. وإكثارنا من جمع المال لا يسجل سيئات في سجلاتنا أيضاً. ولكن الذي نحاسب عليه وينقلب وبالأعلى علينا في الدنيا والآخرة إنما هو الوقوع في أسر المال، وجمعه واستعماله مع نسيان صاحبه ومالكة الحقيقي لله ﷻ. إذ أن المال والملك لله تعالى. وليس الإنسان سوى مؤتمن على مال الله في ملكه. والمؤتمن مسؤول عن الأمانة التي بين يديه. فتجاوز الحد والانفلات من القيود والقواعد هو الخط، وإلا فإن المال بحد ذاته ليس بالخطأ. فكما أنه لا يمكننا أداء الصلاة دون وضوء، كذلك فإنه لا يمكننا استخدام المال دون قواعد الشريعة.

كما أن للصلاة وضوء، فإن للمال معايير للحلال والحرام، وهما سيان في الحكم. وطالما أننا مؤتمنون فلا يمكننا أن نبذر بالمال الذي في عدتنا أمانة. فالمسلم لا يكون مبذراً مسرفاً، وكذلك المجتمع المسلم. فكما أن الله تعالى لا يريد رؤيتنا دون وضوء في مساجده، كذلك فإنه لا يريدنا مبذرين ومسرفين في ماله. وإن ما توسوس به أنفسنا لشرعته تصرفاتنا الخاطئة بالمال

يمكن أن نعرف أنفسنا كمسلمين بأننا من يتوجه إلى الكعبة، أي أننا أناس قبلتهم الكعبة. وفي الواقع لا شبهة في صحة هذا الوصف أبداً. فمن المستحيل أن يصبح الإنسان مسلماً إن لم تكن قبلته الكعبة. ونحمد الله تعالى على أن الكعبة قبلتنا ومطافنا.

إلا أننا لا يمكن أن نحدد الإسلام بالطواف حول الكعبة وحده. إذ أن من أحد المقومات الأساسية للإسلام هو البقاء ضمن حدود العبودية لله تعالى مدى الحياة، وفي كل ميادينها. فالهواء، والماء، والتراب، والنباتات والكائنات الحية ما عدا الإنسان، أي كافة النعم التي وضعها الله تعالى في خدمتنا إنما هي نقاط تبيين نسبة إسلامنا الذي ختمنا به إنسانيتنا. فمأكلنا ومشربنا، وملبسنا، ومسكننا، ومركبنا، وأفراحنا، وأتراحنا، وعلاقاتنا الاجتماعية إنما ستكون أنشطة وفعاليات إنسانية نقوم بها ضمن دائرة محورها ديننا الحنيف. فإن كان دوراننا حول الكعبة في أداء شعيرة الطواف يرمز إلى إسلامنا، فينبغي أن تكون كافة الميادين التي نسعى وننشط ضمنها في هذه الحياة ميادين ممهورة بشعار الإسلام. وهذا هو أبرز الفوارق بين المسيحية التي حُبست داخل الكنسية، وبين الإسلام الذي نزل للعالم

في سبيل ملذاتنا ومتعنا وشهواتنا ليس من شأنها إضفاء المشروعية على تلك التصرفات. فنحن مجبرون وبشكل قطعي على اكتساب المال، وادخاره، واستعماله وفق معايير الشريعة. فالإسلام إنما جاء من أجل الحياة، وإن كان الإنسان يبقى محافظاً على الحياة بواسطة المال فيعني ذلك أننا عند نقطة اختبار الدين بكل ما للكلمة من معنى.

فينبغي ألا ننسأبداً أن علاقتنا بالمال مؤثر على مدى تديننا. فلا يُنظر إلى الإسراف في المأكل والمشرب من الناحية الصحية والإضرار بالبدن فحسب، وإنما علينا في الوقت ذاته أن نعلم أن الإسراف في النعم يضر بنا من ناحية الدين أيضاً. ولا ينبغي أن يغيب عن بالنا أن الإنفاق على المسكن، والمركب بقدر ما يكون ضرورياً وطبيعياً، فإنه في الوقت نفسه قد يتحول إلى تبذير وتبديد متجاوز للحد والذي بدوره يشكل الأرضية لأن نصبح من إخوان الشياطين. والبقاء حائراً بين تلبية الاحتياجات وبين الغوص والغرق في الحلقة المفرغة المتشكلة حول المال دليل على حياة بعيدة عن الدين. الآخرة هي الموطن والمأوى الأصلي، وكل الصفقات وعمليات الاستهلاك التي قد تعكس الآخرة كتأخير وتأجيل بأحسن الأحوال إنما هي خسارة بالنسبة إلى الآخرة.

من يفقد توازنه ومبادئه لدى رؤية الغنى رغم أنه جاء من العدم، ومن لا يرى حرجاً في مصاحبة وملازمة من يعيش عيشة المتعبد للمال، ومن يتناسى أنه كما أن هذه الحياة امتحان، فإنها قد تشهد فتناً أيضاً فإنه ضال لا محالة. فنحن في امتحان، ونسير على طريق صعب وشاق إلى الآخرة. فقد توجهنا نحو الأبدى في وسط العدميين. نحن في الدنيا، ولكننا لسنا دنيويين، ولسنا طلاب دنيا.

وإننا بمنهج الحياة التي ننسى فيها هذه الحقائق الكبرى ندفع بأنفسنا نحو الهلاك.

وقد شكل تحول الأزواج إلى فتن لبعضهم بدل أن يكونوا ناصحين، السبب الأساسي لفقدان الكثير من القيم وعلى رأسها حرمة العائلة ومكانتها. ومن المصائب التي حلت بنا تحول أثاث المنازل إلى قيم أعلى من الإنسان، وجنون الاستهلاك المفرط، وفقدان الشعور بالبركة أو حساسية البركة، والعجز عن فهم وإدراك مسيرة هلاك الأمم السابقة التي يضعها القرآن الكريم أمام أعيننا. ولا يغير من الأمر شيء وجودنا كأفراد أو مجتمع في هذه النقطة. فالعين التي تنظر إلى الحياة وتعجز عن التمييز بين الاضطرابي والكيفي ليست سوى عين عمياء.

يشكل تبذير المال وتبديد المال سبباً مؤثراً إلى حد كبير في تحولنا إلى مجتمع غارق في المشاكل والعقد النفسية. حيث أن ولع الناس بالمال والثروة وعيش حياة متفلتة من قواعد ومبادئ الشريعة يشكل أساس المشاكل الدينية، النفسية، الاجتماعية، الاقتصادية، والسياسية التي خنقت المجتمع وكنمت أنفاسه، وحتى أنه يشكل بنية المنطقة التي فقدت توازنها. فالفهم الذي ينظر إلى استمرار الحياة بناء على كبسة زر على أنه نعمة عادية، ولا يجد بأساً في تلبية أكثر احتياجاته الأساسية من خلال كبسة زر فإنه فهم يحضر لنهايته بنفسه. هل يمكن أن يكون الإنسان الغارق في الأنانية، والمتعبد لرغبات وأهواء نفسه، الذي يعيش من أجل حقوقه وحرته هو الإنسان الذي خلقه الله تعالى مكرماً؟

لا يمكن أن يكون حسابنا أمام الله تعالى غداً مجرد ضريبة أو زكاة، بل إننا كمؤمنين ملزمون بإجراء حسابات أعمق وأشمل. فما من شك في أنه لتصرفاتنا وأفعالنا فاتورة ستدفع، كما هو الحال في فاتورة ما نستهلكه في حياتنا اليومية. فإذا المسألة مسألة فاتورة.

أظن أنه سيكون من المستحسن باعتبارنا جيلاً ينشئ أولاداً مستنفدين في الاستهلاك من خلال تلبية كافة احتياجاتهم وكأنها أمر إلهي، أن نقرأ الآية السادسة عشر من سورة الإسراء مرات ومرات.



الجودة

إن لم يكن ما قمت به لله وإنما لهذا وذاك،
فاعلم بأنك جمعت في البحر بين العصيان والغناء

والشدائد بصورة مستمرة من اللباقة؟ أليس من
الأفضل إتاحة الفرصة أمام من فتحنا لهم الأبواب
للعمل بسرور تحت الضوء، وليس وضع العراقيل
والمصاعب أمامهم لدفعهم إلى تلمس طريقهم في
الظلام الدامس؟ فالخدمة التي تفقد لباقتها ورقتها
منعدمة الجودة.

الجودة تعني الاهتمام!

فالأضرار التي يلحقها اللامبالون، والمهملون،
وعديمو المسؤولية وحدها كافية، ولا حاجة للأعداء
لإحداثها. والخدمات التي لا تتخلص من هذا
الصف من الناس خدمة منعدمة الجودة.

الجودة تيقظ ونباهة!

فالعاملون المتكاسلون في ميادين العمل الذين
يعملون طوال اليوم بجسد مرتخ ومتثاقل، وعقل
مخدر، لا يهتمهم سوى تعداد ساعات الدوام
مصيبة، وإذا ما ربطوا تكاسلهم وتقاعسهم بقلّة
الراتب الذي يتقاضونه فالمصيبة أعظم والعاقبة



الجودة حرية!

والحرية عبودية للحق.

فإن كنت أسيراً للشيطان، أو النفس، أي لأي
أحد من المخلوقات وليس لله تعالى، فإنك عرضة
لخسران مبین، ومحروم من هدف عزيز كما من
رضا الله عز وجل. وحينها لن تكون خادماً لله
تعالى، وإنما ستكون تارة متملقاً لهذا لخوفك منه،
وتارة مرأياً لأنك منهمك بالظهور بمظهر حسن
أمام ذلك... وفي النتيجة تكون عاصياً، وأنت تظن
أنك كسبت الأجر والثواب. فالخدمة التي تصبح
فيه عبداً لعبد منعدمة الجودة.

الجودة تعني رسم الابتسامه على الوجوه!

فالخدمة التي تزيد مرض المرضى، وتحول
برودة المرء إلى زمهرير أسوأ، وتعسر الأمور،
وتؤذي الآخرين، وتحط من شأن الإنسان ومنزلته،
وتزيد من الكدر والهموم والأحزان خدمة منعدمة
الجودة. فهل ابتلاء من يخاطبه المرء بالضيق

وبالمقابل لا يبدي التصرف ذاته إذا ما تعلق الأمر بالآخرين، وكانت جودة الخدمة التي يقدمها تختلف باختلاف من يتلقون تلك الخدمة، وكان الشعور بالمسؤولية لدى المسؤول يتغير صعوداً ونزولاً فهذا يعني أن في تلك الخدمة نفاقاً. والخدمة التي يشوبها النفاق منعدمة الجودة.

الجودة تعني حسن التمثيل!

كل مؤسسة من مؤسسات الخدمات تبدأ بالنوايا الحسنة، والأهداف والغايات النبيلة. فإذا ما تحول المكان الذي كانت مهمته الخير والخدمة إلى مكان للغفلة والضرر فما من بد حينها من البحث عن السبب في دور الإنسان. فقصور تفكير من تم الاعتماد عليهم وتكليفهم بهذه الوظائف والتحمس لإعطائها حقها، إلى جانب تصرفاتهم الأنانية اللامسؤولة تمنع من التمثيل الجيد. والمكان الذي تمثله سيء الخدمة منعدم الجودة.

الجودة دقة وحساسية!

العناية بالأمكنة صعبة. وإذا لم يتم إصلاح أعطالها، وصيانة عيوبها، وتجديد طلائها فلا يمكنها أن تقدم الخدمة بحق. وخصوصاً إذا كان المكان يتم استخدامه من قبل أناس لا يتمتعون بالحساسية، ولا

يتعاملون معه معاملة المؤمن عليه، فمشاكله في هذه الحالة لا تنتهي أبداً. فما الذي ينبغي أن تفعله إذا ما ظهر نقص لم تقدر على تداركه، ومشكلة لم تتمكن من حلها بعد، وأنت في معرض أداء إحدى الخدمات؟ بالطبع عليك أن تكون بحالة قلق خشية أن يتضرر أحد،

وخيمة! فإن كنت إنسان خدمة فكن يقظاً ونبهياً، واعلم: أن البركة ليست بالعمل القليل، وتقاضي الكثير. وإنما البركة بالعمل الكثير واستحقاق ما تتقاضاه. فالمال القليل الذي تعطيه حقه، ينفع أكثر من المال الكثير الذي لم تعطه حقه. فالخدمة التي تكون بها جس المال فقط، منعدمة الجودة.

الجودة تعني الاجتهاد!

فالناس الذين لا يكتفون بعدم المساهمة بشيء في المحيط الذي يتواجدون فيه، وإنما يتسببون بالأذى والضرر بطاقتهم السلبية التي ينشرونها حولهم يجب معالجتهم إن كانوا مرضى، وتنبههم إن كانوا غافلين، وإنذارهم إن كانوا متعمدين، ومعاقتهم وطردهم إن أصروا على الاستمرار في أخطائهم. فالخدمة لا تكبر وتتوسع بالكثرة، وإنما بالتضحية. وعلى ذلك ينبغي ترجيح بضعة أشخاص مجتهدين ومجدين على عدد كبير من الذين يتظاهرون بالعمل والخدمة على غير الحقيقة. فلا ينبغي أن يؤكل الحرام من خلال الاكتساب على حساب الآخرين. فالتوصية بأن حامل الكتاب قريبي يرجو التعيين تعني إتاحة المجال أمام الإنسان لكسب المال وهو جالس دون جهد، ومن ثم التغافل عن جلبه الرزق الحرام لأهل بيته. فالخدمة عمياء البصيرة منعدمة الجودة.

الجودة تعني السعي لله!

فإذا ما تعلق أحدهم بشخصية يعتبرها مهمة تراه يجري التحضيرات قبل أسابيع، ويتدارك كل النواقص في المكان، ويخرج لاستقباله بمنتهى الاحترام والتقدير؛

إِتْقَانُ الْعَمَلِ فَرِيضَةٌ عَلَى الْمُسْلِمِ، ذَلِكَ أَنَّ عَمَلَ الْمُسْلِمِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا يُعْتَبَرُ عِبَادَةً وَجِهَاداً لَهُ إِذَا صَحَّتْ فِيهِ النِّيَّةُ، وَإِذَا قَدَّمَ عَمَلَهُ بِإِتْقَانٍ وَأَمَانَةٍ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ»

(مسلم، الصيد، ٥٧ / ١٩٥٥)

أو يتأثر أداء الخدمة سلباً بسبب هذه الحالة. وإذا لم تفقد مكاناً، ولم تشخص المشكلة وتقم بحلها، ولم تجهز المكان للخدمة رغم علمك أنه سيتم استخدامه في اليوم التالي فعليك أن تحمل ما يظهر من عواقب وخيمة على عاتق بكل رجولة. لا يمكنك الاستمرار في اختلاق الأعذار، والاحتجاج بالعطل، والإجازات للتهرب من واجباتك! أما إن كنت مصراً ولن تراعي تحقيق حتى المهام المنتظرة منك فاترك المكان وغادر، ليحل مكانك من هو متشوق للعمل ومستعد لتحمل المسؤولية.

الجودة إخلاص!

قدر إخوتك الذين يخدمون في مختلف المجالات. تعامل معهم! حادثهم! لا تنقص من شأنهم! فإن كان عامل الحمامات يسارع إلى تنظيف، وتلميع مكان الجلوس إذا ما جاء المسؤول، ثم يترك المكان ذاته بأوساخه وقاذوراته إذا ما جاء من يعتبره إنساناً عادياً فإنه يكون في هذه الحال مرثياً! حيث أن الإخلاص هو السعي وبذل الجهد لأداء

الخدمة بالجودة ذاتها للجميع لوجه الله سبحانه وتعالى. فالخدمة المفتقرة إلى الإخلاص معدومة الجودة.

الجودة تعني الرحمة!

هل تكون ظلمة لأخيك أم نوراً؟
أتكون برداً قارساً، أم نسيماً منعشاً؟

أليس من المناسب واللائق بالإيمان والإخلاص أن تفعل ما تفعله لوجه الله، وأن تبدي الحساسية اللائقة به؟

فإن كنت تجهز الهدية حسب الشخص، فإن الهدية تذهب لذلك الشخص، وليس لله تعالى. وإن كنت تحضر الحساء حسب الشخص فإن ذاك الحساء يذهب إلى بيت الخلاء، وليس إلى عرش الرحمن. فالخدمة التي لا تدخل السرور إلى القلب، وتسبب له الضيق، ولا تكون وسيلة للدعاء بالخير خدمة منعدمة الجودة.

الجودة طاقة!

اعمل مع من يحلم بالأفضل، والأجمل، ويسعى إليه؛ ولكن ليس من يجعل نفسه أسير الخيال! اعمل مع الواقعيين، ولكن ليس مع المسوفين! من لا يرى الأصعب، فإن كل صعب يُعد في نظره هو الأصعب دائماً. فاعمل مع الذين نضجوا على نار الصعاب، وليس مع من اعتادوا على الطعام الجاهز! فالخدمة التي يقدمها من لا طاقة له تكون عادة منعدمة الجودة.

الجودة متانة!

المتين لا يُكسر. انتبه: إن كنت على الدوام بوضع تقول فيه لأحدهم: سأقول لك شيئاً، ولكن لا أريد أن أجرح مشاعرك، فهذا يعني في الحقيقة أنك تعتقد أنه ضعيف، هش، سريع الانكسار. فأنت لا تضطر لتوجيه مثل هذه العبارات إلى من أنت واثق من محبته، وصداقته، وأخوته، أي من متانته. بل على العكس فأنت تتحدث معه بكل أريحية. وعند

قال رسول الله ﷺ:

«إن الله تبارك وتعالى يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»

[البيهقي، شعب الإيمان، ٤٩٢٩]

والمقصودُ بالإتقانُ هنا هو الإخلاصُ في العملِ، أي أن الله سبحانه وتعالى لا يقبلُ عملَ امرئٍ حتى يُخلصه من الرياءِ، فعلى العامل أن يُتقنَ العملَ الذي كلفه به صاحبُ العملِ أو الحِرْفَةِ، بقصدِ نفعِ خلقِ الله سبحانه وتعالى، وألا يعملَ على مقدارِ الأجرِ التي تُدفعُ إليه، بل بحسبِ ما تقتضيه الصنعةُ من إتقانٍ.

والجودة عشق...!

إن كنت محروماً من المثل الأعلى، ولا تسر إذا ما أوكل إليك عمل آخر، ولا تغادر النوم لإيجاد الحلول، ولا تحلم بعلاج علتك حتى في نومك فعليك الإسراع بالتوبة. إن كنت لا تحب مسؤولياتك بعشق فارتعد! وانظر بإدراكك إلى وظائفك على أنها فرص ثمينة سوف تفقدها ذات يوم. وطالما أنها ستذهب فاحتضنها بحب دون تردد، ولا احتقار، ولا تدمير. ولا تدع نقصاً تندم عليه وتقول ذات يوم ليتني فعلت كذا. أدّكل ما عليك القيام به بامتنان. ولا تفعل كالمضطر! فالجودة تأتي بالحب. والخدمة التي يتم أداؤها بتدمير منعدمة الجودة.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا جميعنا الجودة في العبادة، والخدمة، وأن نعيش في الدنيا كما يجب، فنلق الآخرة ذات جودة. آمين.

اللزوم تستشيريه، وتناقش معه. فإن بكى فإنك ستبكي معه، وإن ضحكك تضحك معه. فأنت تشعر بالقلق أمام الجليد، وبالأمان أمام الفولاذ. ومن ثم فإن خدمة الهش منعدمة الجودة.

الجودة وعي!

وعى كوعى السيدة سمية التي ظلت تقول لا إله إلا الله رغم أنهم ربطوها بناقتين تجرانها في اتجاهين مختلفين لتشقاها إلى نصفين.

وعى كوعى الرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام الذي ما زال يدعو لمن آذوه ويقول اغفر لهم فإنهم لا يعلمون. فالوعى يفتح الباب في الجدار، وبالوعى تجد الواحة في الصحراء، والوعى هو من يحمل على الدعاء في الشدة والرخاء. فكل تحرك دون وعى منعدم الجودة.

لقوم يتفكرون

يدأب الإنسان على آلية عمل النظام الكوني، لأنه يعيش منذ لحظة ولادته في هذا النظام الدقيق الذي لا يسري إليه أدنى خلل أو شذوذ. عندما تقلع طائرة من المطار تُوجّه إرشادات إلى الركاب من الطاقم المسؤول، فيقال لهم: "في حال تعرض الطائرة لنقص الأوكسجين سوف تنزل الكمادات من فوقكم، وتعمل أسطوانات الأوكسجين. وعليكم استخدامها بهذه الطريقة..."

ولكن لا أحد من الناس يتساءل قليلاً فيقول مثلاً: يا ترى هل سينخفض في الغد مستوى الأوكسجين. ولا نشعر بالخوف من عدم حلول الصباح، أو عدم شروق الشمس، أو عدم قدوم الربيع. إلا أن الذين يتفكرون يدركون النظام العظيم الذي يكمن في هذه الأمور، ولهذا فإن الحق سبحانه وتعالى يقول في كثير من الآيات القرآنية:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١؛ الجاثية: ١٣)

أي إن الحكم تتجلى للذين يتفكرون ويتأملون بآلاء الله تعالى. ولا شك أن هذا الأمر يكون وفقاً لمستوى القلب، إذ إن القلوب التي تتبع خطوات الشيطان، أي الغارقة بالذنوب والمعاصي تكون عمياء وصماء أمام هذه التجليات الإلهية. وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى:

﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمُوتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ (النمل: ٨٠)

وذلك لأن الكافرين ما هم إلا جثث حية.

العلاقة بين الإنفاق والتقوى في قرآن

وقال الله تعالى في معرض ذكر صفات المتقين:

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (البقرة: ٣)

ويلفت القرآن الكريم الأنظار في مواضع أخرى إلى أن من بين المتقين الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله، ويمدون يد العون للفقراء والمحتاجين والضعفاء ﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾ (آل عمران: ١٧)

وعندما يتحدث القرآن الكريم عن أحوال المتقين وأعمالهم في الدنيا بينما هم في الآخرة ينعمون بالجنة وعيونها ونعيمها، يقول:

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (الذاريات: ١٩)

أي أنهم كانوا يعطون من أموالهم للفقراء والمساكين والمحتاجين في الدنيا.

ويبين الله تعالى في الآية الكريمة أن للفقراء والمحتاجين حقوقاً في أموال الأغنياء. وورد في آية أخرى خلال الحديث عن المتقين الذين استحقوا الجنة:

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾

(آل عمران: ١٣٤)

الإنفاق لغة: الصرف، والنفاد. والإنفاق اصطلاحاً حسب مفهوم القرآن: إخراج المرء جزءاً من النعم المادية والمعنوية التي يمتلكها وإعطائها للآخرين، وتقاسمها معهم ابتغاء مرضاة الله تعالى. فالإنفاق لا يكون من المال فقط، وإنما من النعم، والقيم الأخرى التي يمتلكها الإنسان. فالمسلم في مفهوم الإسلام ليس بالكائن الذي يفكر بنفسه، ويعيش لنفسه فحسب، وإنما المسلم يهتم بأمور الآخرين أيضاً. حيث قال النبي ﷺ:

"من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم".

(الطبراني، المعجم الأوسط، ٧/ ٢٧٠ / ٧٤٧٣)



إذاً، إن الإنفاق في السراء والضراء، وفي العسر واليسر والغنى والفقر من عادات المتقين، ومن الصفات الملازمة لشخصيتهم لا تفارقهم أبداً. فالإنفاق والعطاء بطبيعة الحال أمر متوقع ومرجو من أصحاب المال والأغنياء لحسن أحوالهم المادية وسعة ذات اليد التي يتمتعون بها. ولهذا فقد فرضت الزكاة على الأغنياء كنوع من الواجب الديني والاجتماعي المطلوب منهم تجاه فقراء المجتمع ومحتاجيه. وأما من لا يتمتعون بإمكانات مالية، ويعانون من ضيق ذات اليد مادياً، ومن قلة الموارد والدخل فلا مسؤولية عليهم دينياً في الإنفاق وتقديم يد العون المادي للآخرين. إلا أن بعضهم مع ذلك يعتبرون هذا الأمر واجباً اجتماعياً عليهم ويقدمون المساعدة من تلقاء أنفسهم وباختيارهم رغم أنه ليس بواجب أو فرض بحقهم، ولا شك أن الذي يدفعهم إلى هذا الفعل إنما هو التقوى. ولهذا نجد أن أهل التقوى سباقون في أعمال الخير.

إن كلمة "السراء" المذكورة في الآية القرآنية تعني: حالة السرور والفرح؛ وأما كلمة "الضراء" المذكورة فتعني: الأذى، والبلاء، والمشقة.

إذاً؛ المتقون يسارعون إلى الإنفاق سواء كانوا في حالة سرور وفرح ووفرة، أو كانوا يعانون من الضيق والبلاء والشدة.

ويفسر البيضاوي عبارة "الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ" بقوله: ينفقون في الأحوال كلها، إذ الإنسان لا يخلو عن مسرة أو مضرة، أي لا يتخلون في أي حال عن إنفاق ما قدروا عليه من قليل أو كثير.

المتقون يمتازون بالسخاء والكرم، ويشعرون بالمتعة حين إنفاق أموالهم في سبيل الله تعالى. ويلفت القرآن الكريم إلى سخائهم ويثني على عملهم في مواضع متفرقة. وترد الإشارة إلى صفتهم هذه في سورة البقرة:

﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾

(البقرة: ١٧٧)

الضمير في كلمة حبه يحتمل عدة وجوه، فإما يعود إلى "المال"، وإما يعود إلى الفعل "آتى"، كما يحتمل أن يعود إلى لفظ الجلالة "الله".

فإن أخذنا بالوجه الثاني، وهو أنه يعود إلى الفعل آتى فيكون معنى الآية:

"إن المتقي لحبه العطاء ينفق من ماله على ذوي القربى، واليتامى والمساكين..."

وحسب الوجه الثالث يكون المعنى:

"ينفق المتقي من ماله على ذوي القربى واليتامى... لحبه الله تعالى".

وباختصار يمكن تفسير الآية بثلاثة معاني، هي:

إما: "رغم حبه المال ينفق منه".

وإما: "ينفق ماله حباً بالعطاء".

أو: "ينفق من ماله محبة بالله".

ومن الكلمات التي تستوجب الوقوف عليها في الآية الكريمة هي لفظة "السائلين". فهذه الكلمة جمع، مفردها سائل. ويتم تفسير هذه الكلمة بصفة عامة بالمتسول الذي يطوف على الناس ويسألهم العطاء، وهو تفسير مجانب للصواب.

المعنى الأصلي لكلمة السائل إنما هو الطالب، أي الذي يطلب، ويريد. فإن كان الشيء المطلوب حالة، أو حادثة، أو موضوع علمي لا يعلمه من قبل فإن السائل يكون هناك بمنزلة المستفسر عن شيء، أي من يوجه سؤالاً. وأما إن كان الشيء المطلوب أو المراد مساعدة مادية فإن السائل يكون بمعنى طالب الحاجة، وكذلك المتسول. وأما السائل في القرآن فليس بمعنى المتسول، وإنما بمعنى طالب الحاجة. لأن المتسول اتخذ السؤال عادة له سواء كان محتاجاً أو لا، حتى أنه يجعل السؤال مهنة له. بينما السائل في القرآن هو طالب الحاجة. فقد فسر النسفي كلمة "والسائلين" بكلمة "المستطعمين" التي تفيد طالب الطعام. وفسر كلمة "السائل" الواردة في الآية ١٩ من سورة الذاريات بقوله: لمن يسأل لحاجته. فطلب الحاجة مشروع، أما التسول فحرام.

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز:

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا

مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾

[آل عمران: ٩٢]



سناء ديمرجي

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ

كنت تحب شعرك، فلا شك أن هناك من سوف يسر لو رآه في رأس القائمة. أضفه إلى القائمة شعرة شعرة. واكتب يديك أيضاً، فإن هناك من يتطلع للإمساك بيدك ولو ليوم واحد، ومن يتشوق للمس مثلك. وكذلك هناك من لا أرجل له، فاكتب قدميك، واستعد لتقديمها إلى أطفال يحلمون بالجري في مناهمهم. فمن يعلم كم سيحتفلون ويُسرون لمجرد أن ركلوا الكرة مثلك. وحين تكتب قدميك جهز بجانبها حذاء أيضاً. واخلع من قدميك ما أبليته، وما سوف ترتديه وتبليه أيضاً.

كدت أنسى، أجل أجل، اكتب عقلك أيضاً. فإن كان أصبح ذو عقل راجح مثلك، فسوف يلقي تقديراً، واحتراماً ممن حوله، ومن ثم سيُسر، ويدخل السرور على غيره، ويدرك أنه صار محبوباً، فهناك الكثير من فقراء العقل؟ أعلم أنك تحبه كثيراً، وتقول في نفسك إياك أن تطلب إضافة هذا إلى القائمة أيضاً. ولكن الآية بغاية الجدية والحزم!. تنفقوا مما تحبون! كلما أنفقتم مما تحبون، أنفقتم مما تحبون كثيراً، كلما

لنفترض أنك تريد الوصول إلى البر، أي إلى الخير، أي إلى منتهى الجمال، أي إلى السعادة الدائمة التي لا تنقطع. ولم لن تطلب الوصول؟ فإن كنت فاعلاً، فعليك أن تعطي مما تحب. فإن كان هذا هو الثمن، وكان الذي سيعطيك منتهى الجمال قد حدد مثل هذا الثمن، فعليك البدء بإعداد قائمة بالأموال التي سوف تقدمها ثمناً. وعلى الفور.

فما الذي ستعطيه؟

بماذا ستبدأ رحلة العطاء؟

أي الأمور التي تحبها وستتزعجها من نفسك؟

أي الأشياء سوف يكون أول ما يخرج من يدك، أيها

أول ما ستنفقه، أيها يجب أن يكون؟

ما الذي سيكون على رأس قائمة الأشياء التي

تحبها؟ هيا إذاً.

أعلم أنك تحب روحك أكثر شيء. فاكتبها في

المقدمة. وماذا بعد؟ هل أنت مستعد لاستخراج

عينيك من حجرتيهما؟ هيا لا تتردد، اكتبها في

القائمة. واكتب المنزل أيضاً إن كان لك بيت. وإن

قصر الطريق نحو الخير. هب أننا كتبنا في القائمة النفس أيضاً. فهناك الكثير من المرضى الذين يعانون من ضيق التنفس، ويتحسرون على التنفس بارتياح. فأمسك نفسك لساعة وأعطهم إياه. فليرموا جانباً جهاز التنفس الذي وضعوه في أفواههم.

أجل، برأيي عليك أن تضيف إلى القائمة وجهك أيضاً. فلطالما أنك تحب أن تقف كل يوم أمام المرأة، وتزيل التجاعيد المشككة على وجهك، وتنظف الأوساخ العالقة به، فعليك أن

تعطي ما تحب، لذا هيا اكتب وجهك في القائمة دون تردد. فما من شك أنه ثمة الكثير من الذين تعرضوا للحروق والتشوهات في وجوههم وهم في حسرة لأن يسيروا بين الناس بوجهك السليم. هناك الكثير ممن حرموا من وجوههم ويتوقون لأن يلقي الناس عليهم السلام، ويظهروا لهم الابتسامة والاحترام إذا ما رأوهم بوجهك. ماذا تحب أيضاً؟.

أجل، لا بد أنك تحب النظر من النافذة، لتشاهد السماء الزرقاء الصافية، وتستمتع بمنظر البحر الواسع الخلاب. فهيا أضف إلى القائمة في الحال وأعط السماء

بغيوماً. أنعم على غيرك باحتمال وأمل اصطياد الأسماك في البحار والمحيطات، والمضائق، والأنهار، وأتح لهم فرصة تعليق اللائلي على صدورهم.

إنك تحب مدينتك كثيراً، فلم تحفظ عليها؟ أم أنك لا تحبها؟ ألم تكن تحب أن تعطي اسطنبول الجميلة لسكان المدينة الخاوية التي لا يستطيعون السير على أرصفتها دون خوف، ولا يجدون في مواقفها الناس، وما من أشياء جميلة تستحق النظر والمشاهدة في

واجهات في متاجرها. امنح تحليق النوارس، قدم النظرة التي تشاهد طيران النوارس. تفضل بأمواج اسطنبول، ضعها كلها في علب بيضاء. وغلف العلب بمتعة خاصة بسماع بالأمواج. أعط، ولا تخف! أعط القطط، والزهور التي طالما أحببت شم روائحها على التلال، وثمار العيق التي اقتطفتها، والسلالم التي صعدتها، والأوراق اليابسة التي لمستها... لا تتوقف، هيا أعطها كلها... ولكن لا تنس أن تضع في السلة أيضاً قلبك الذي أحس بجمالها؛ لا تتردد...

دعنا ننهي القائمة كما بدأناها. ولكن يجب أن يكون كل ما كتبت في القائمة من الأشياء التي تحبها قطعاً. وقبل أن نغلق السطر الأخير تذكر أنه ينبغي أن يكون في القائمة كل ما يخطر في بالك مما تحبه. وينبغي أن يكون كل ما يخطر في بالك بعد إنهاء القائمة مما لا تحبه. إذ لن تعرف أن القائمة اكتملت إلا بذلك.

تعال بنا إلى القائمة، فلمن ستعطي هذه الأشياء التي تحبها حباً جماً. من يستحق أن تنفق عليه أولاً؟ يبدو أنك تريد أن تعطي روحك التي وضعتها على رأس قائمة الأشياء التي تحبها لمن تحبه أكثر،

وتود إسعاده وإسراره أكثر. فمن هو؟ أنت أعلم بذلك. فاكتب إذاً! حسن، فإلى من ستذهب عينك المحبوبة، وإلى من ستذهب يداك المضلتان؟ أضف أولئك المحظوظين إلى القائمة أيضاً.

لمن فكرت تعطي وجهك؟

من أكثر من يستحق وجهك؟

من الذي إذا ما شوهد بوجهك يعرفه الجميع؟

المؤمن إنسان كريم، والكرم الحقيقي إنما هو القدرة على الإحسان دون تردد، وإحياء القلوب كما تُحيي أمطار الربيع الأرض، والإنفاق بتلذذ وطواعية، على المؤمن أن ينفق إنفاق الشاكر لنعم الله تعالى، فيكون حاله كحال الورود التي تنشر عيبرها ليشمها كل من يمر بها، وعندها تكون للأعمال الصالحة قيمة عند الله تعالى.



قال رسول الله ﷺ:

«سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: ... ورجل تصدق بصدقة فأخفاها

حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله...»

(مسلم: الصدقة، ٩١ / ١٠٣١)

من الذي تريد الارتقاء من خلاله إلى السماء التي تحبها كثيراً؟

لمن تفكر أن تترك إطلالة النافذة التي نظرت منها إلى الشارع، وانتظرت من خلالها غروب الشمس، وسمعت عندها زقزقة العصافير، واستقبلت فيها النسمات العليلة التي داعبت وجنتيك، وزينتها بمختلف أنواع الأزهار والورود؟ أم أنك ستقول أحبها، ولن أعطيها؟

اكتب! من أكثر ما تراه يستحق أن يفتح نافذتك لتتلقى أشعة الشمس كل صباح؟ فاستعد أن تعطي النجوم، والسهول، والبحار، والأنهار، والينابيع، وزقزقات العصافير لمن تراه يليق بها أكثر. أضف اسمه أيضاً في القائمة. فأكثر شخص تود أن تنفق عليه اسطنبول ينبغي أن يعطيها حقها بكل ما تحتويه اسطنبول، من نوارسها وحتى مضيقها، ومن مساجدها حتى أبراجها، وكل أحيائها وحجارتها. وليحب حتى انتظار الحافلات في مواقفها، ويشاق حتى لهدير محركات السيارات في طرقاتها. أن يحب ما فيها من أزهار التوليب واحدة واحدة، وأن يخصص وقتاً لشرب الشاي في سفنها صباحاً، وعند العصر، ووقت الغروب، وحتى في الليالي. فمن هو؟ اكتبه في الحال!

عند اكتمال هذه القائمة الثانية يجب أن تحتوي على كل من تحبهم، و يكون أكثر من تحبهم في رأسها ثم يليهم من تحبهم أقل، فأقل. بحيث إذا ما تذكرت أحداً تحبه تجده فيها. فاحرص أن لا يبقى أحد خارجها، لا يبقى أحد/ شيء لم تلي حاجته خارج القائمة. وليكن في القائمة حتى الطيور التي تلقي إليها كسرة خبز. ولتكن فيها حتى القلط التي تعتقد أنك سوف تسرها بمداعبتك إياها.

وفي الواقع ينبغي أن يكون في القائمة من لا تعرفهم، ولا تحبهم أيضاً. أجل، أجل؛ فلو كنت تعرفه لأحبيته، ولربما أحبيته كثيراً. ولعله تصدر القائمة

ما الذي يُسر أكثر، ويُحب أكثر إذا ما وضع وجهك؟ من الذي لا يُخجل وجهك، ولا يضطر عينيك للنظر إلى الحرام، ولا يستخدم لسانك، وشفتيك، وصوتك، ونفسك في التلفظ بالألفاظ البذيئة والمسيئة؟ فحدددهم!. عليك أن لا تعطِ وجهك لمن يعتبر صورتك مثيرة للاستغراب، ويخجل من الظهور بوجهك. فاكتب من تجده يحب وجهك أكثر! لمن تريد أن تعطي نفسك؟

هل يوجد في قائمتك من يستحق بقاءك دون نفس؟ إن لم يكن، فضع في القائمة على الأقل من تستبدل نفسه الضيق بنفسك المريح.

والآن، استعد لكتابة أحب الناس إليك ممن ستجد في إعطائه صعوبة وتحرراً أكبر:

فلمن كنت ستفضل إعطاء أبنائك الذين تحبهم؟ فهل تعرف أحداً سيكون لهم أباً أو أمّاً مثلك أنت؟ هل يخطر في بالك أحد سيكون أبناً أو سعاداً بأن يكونوا أبناء له، ولن يحزنوا، ولن يبكوا عنده؟ ولمن ستعطي عقلك؟

من الذي يُعجب أكثر بعقلك الذي تصفه بالراجح، ومن الذي يثق بعقلك أكثر؟ هل تعرف أحداً لن يندم على ولادة عقلك؟

أيضاً. فعليك أن تعطي أكثر ما تحب لمن لا تعرفه، والذي ربما تحبه إن عرفته؛ أعطه مثلاً نفساً طيباً، أو خبزاً طازجاً...

لتكن أنت الذي تمنح البهجة، والسكينة والسرور لقلوب الذين لم تهتم بهم لأنك لم تحبهم، ولم تحبهم لأنك لم تعرفهم. عليك أن تجهز يديك للتربية على كتف كل إنسان فقدت محبته.

برأيي كفى. بإمكانك أن تنهي قائمة الأشياء التي سيتم إعطاؤها، كما بإمكانك إنهاء قائمة الذين ستعطيهم. فيجب أن يكون هناك ما تقدمه لكل شخص وكل شيء تعرضت له، فليس من حقل تجاوز أحد. عليك أنه تعرف أنك مسؤول حتى عن كل طائر تعرفه مكسور الجناح، فينبغي أن يكون عندك شيء تقدمه له. وإنك في الحقيقة مدين لأن تكون أباً أو أمّاً لكل طفل يتيم. وحتى للطرق التي لم تُسلك، والجبال التي لم يصلها أحد لها ما تأخذه منك. وحتى عليك إضافة مواد جديدة إلى القائمة بأشياء لا تحبها لإعطائها لأشخاص لم تحبهم أبداً.

لنقل أنك لا تحب فرعون أبداً، ولكنك تريد أن تعطيه جهنم. فقد تعتقد أنه ليس عندك من شيء يُعطى للظالمين؛ ولكنك لن تُسر إذا لم يعاقب هؤلاء الظالمون عن أفعالهم.

إذا؛ فأنت تُسر حتى بإعطاء أشياء لا تحبها لأناس لا تحبهم. أليس من السرور أن تكون الأعمال التي لا تحب فعلها لمن يفعلها بسرور؟ والآن عليك أن تضيف إلى القائمتين ما لا تحبه أيضاً. ومن المحتمل أنك تركت الآن القلم الذي بيدك، وتراجعت عن إعداد القائمة. واختصرت قائمة الأشياء المطلوب

إعطاؤها بمادة واحدة، وهي: كل شيء. وقائمة الذين تفكر بإعطائهم تشبه هذه أيضاً: للجميع بما فيهم "أنا"، وكل شيء. والآن من الذي سيعطي كل شيء للجميع، ولكل شيء. أليس أنت هذا؟ فلست أنا أبداً.

فلو حاولت أنا فعل ذلك فقطماً سيكون ثمة من أنساهم، ومن أهملهم، ومن أتركهم عاجزين، ومن أتركهم جائعين عطشى. فمن يكون هذا "المعطي"؟

من الذي أعطاك ما تحبه كثيراً بقدر ما لا تود إعطاءه لأحد؟ من الذي أعطى روحك التي تحب كثيراً لأكثر شخص تحبه، أي أنت؟

من الذي أعطاك الأطفال، وجعلك لهم الأب والأم الذين يحبون؟

ومن الذي أعطى عقلك الذي تُعجب به، لأكثر شخص يُعجب به، وهو أنت؟

من أعطاك أكثر ما تحب بهذه الحال، أي جعلها أكثر ما تحب؟

ومن الذي منح للجميع ولكل شيء ما لا تستطيع منحه حتى لو أردت؟

من الذي أعطى للأطفال الذين لا تعرفهم الآباء والأمهات الذين يحبونهم؟

ومن الذي أعطى للآباء والأمهات الأبناء الذين يحبونهم وتتلطف إليهم قلوبهم؟

ومن أعطى حتى جهنم الذي لا تحب لمن لا تحب؟

فإن كنت تقول: "لست أنا وإنما هو"، فقد أصبت البر. فإن قلت: "لا معطي إلا هو ولا أحد سواه!" فقد وصلت إلى الخير. لقد تراجعت عن كل شيء في القوائم، ونسيت الجميع، ووجدت الله تعالى. لقد وصلت إلى البر، ونلته.

الصدقة مطهرة
للال، تخلصه من الدخن
الذي يصيبه من جراء اللغو،
والحلف، والكذب، والغفلة
فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يوصي
التجار بقوله:
«يا معشر التجار، إن هذا البيع يحضره
اللغو والحلف فشوبوه بالصدقة»

[رواه أحمد والنسائي وابن ماجه].



أهمية الشباب و مشكلة الهوية

شوق ورغبة عارمة ناتج عن الحاجة لفهم المعضلات والمسائل التي وضعتها أماننا الجماعة؛ وفي القلب صدى صوت الأوتار التي تربط الإنسان بالإنسان والذي يخترق حتى أحد وأقصى الحجب؛ وفي الإرادة استعداد للانطلاق من القوس نحو أهداف وغايات جليلة لها معان وقيم أسمى من الحياة البهيمية. إن الإنسان الرجعي والأمة الرجعية هي التي تفهم الشباب بالمعنى الكامن في لغة الطبيعة فحسب، وأما الإنسان المتقدم والأمة المتقدمة فهي التي تضيف إلى ذلك معنى الشباب في لغة الجماعة أيضاً. وبذلك فإن الشاب لا يبقى عند كونه فسيلاً نضرة، وجواد رشيق؛ وإنما يصبح إنساناً ذكياً ومثقفاً، ومقداماً، وذو إرادة وإحساس بالمسؤولية".

يتم تعريف الشباب من الناحية النفسية والاجتماعية على أنه المرحلة العمرية التي تبدأ مع المراهقة وتستمر حتى العمر ٢٢- ٢٥ عاماً. وفي الحقيقة يرسم بيامي صفا صورة أصلية لمرحلة الشباب بقوله: "إن معنى الشباب في لغة الطبيعة هو النضارة/ الغضاضة. ففي القامة ازدهار فسيلة نضرة؛ وفي البدن بريق ورقة نضرة؛ وفي الشعر تفتق أعشاب غضة؛ وفي الأعين تدفق ينبوع نضرة؛ وفي الشفاه حمرة ثمرة طازجة، وفي المسير رشاقة جواد أصيل نضرة. وأما معنى الشباب في لغة الجماعة فهو أعلى وأسمى بكثير من النضارة. ففي الروح ثوران نابع من الاحتكاك مع الجوهر الوطني؛ وفي الذكاء وميض

يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ

آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]

66



شروط تطور
العصر دائماً
ارتقت سلم
التطور،
وأصبحت
صاحبة شأن
في العالم.

أهمية الشباب:

يُعد الشباب مصدر فخر، وقوة، وأمل لكل أمة ومجتمع. ويقوم الشباب بوظيفة المحرك ليقود بلاده وأمته نحو الارتقاء والتطور والتنمية في كافة الميادين. فكل أمة أولت اهتماماً للأجيال الشابة كان مصيرها التطور والارتقاء، وكل أمة أهملت الشباب كان مصيرها الفشل والتراجع والأفول. إذ أن صمود الأمة، والحفاظ على دينها، وحماية قيمها إنما يكون من خلال طاقة وحيوية الشباب الذين تلقوا تربية سليمة قبل كل شيءٍ.

إن مرحلة الشباب كما تم التعبير عنها في لغتنا التركية بشكل في غاية الروعة والجمال هي فترة "ثوران الدم". فهي مرحلة غليان الدم، وخفقان القلوب، وتأجج المشاعر والأحاسيس. هذه الفترة هي الفترة التي تتحول فيها الينابيع إلى شلالات هائجة، فترة الالتهاب والحركة، فترة تكون فيها الحياة صاحبة واثرة.

إن الشباب نعمة قيمة ومهمة أنعم بها على الإنسان وتستوجب الشكر لله تعالى. وسوف يُسأل الإنسان عن هذه النعمة يوم القيامة وكيف قضاهما كما بين ذلك النبي عليه الصلاة والسلام، حيث قال:

"لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه؟ وعن شبابه فيما أبلاه؟..." (الطبراني: المعجم الكبير، ٢٠، ١١١/٦٠)

وبذلك سوف يُسأل الإنسان يوم القيامة عن عمره عامة، وعن شبابه خاصة. وذلك لأن الشباب مرحلة القوة والنشاط التي تفضل الله ﷻ بها على العبد والتي تتصف بين مرحلتين ضعيفتين هما الطفولة والشيخوخة.

إن مستقبل الأمة مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالشباب وتربيتهم وتعليمهم. حيث أن الأمم التي أولت الاهتمام لتربية الشباب وتعليمهم واعتبرت ذلك من

فمستقبل أي دولة من الدول مرتبط بالتربية، والتعليم، والأدب، والأخلاق والثقافة التي يتلقاها شبابها. فقوة الأمة وعظمتها لا تتوقف على كثرة أعداد أفرادها، وإنما تتوقف على نسبة الشباب المتمتع بالعقل، والبصيرة، والثقة بالذات والعزم، والفضيلة، والعلم، والعفة والعزة، والإيمان.

إن مرحلة الشباب وثوران الدم أشبه ما تكون بالأنهار الغزيرة الهائجة. فإذا لم يتم توجيه طاقتها ونشاطها ضمن القنوات السليمة والسوية فإنها سوف تفيض وتجرف كل ما يصادفها في مجراها وتدمره، فتغرق حياة الأمة والمجتمع. فمرحلة الشباب أساس الأمة، ومستقبل الدولة وتحررها، ودعامة المجتمع. والشباب أهم وأعلى إحسان ونعمة تفضل الله بها على العائلة والأمة، وفوق ذلك هم أمانة في أعناق الأمة.

ينبغي أن يكون الهدف الأعظم لأي أمة من الأمم إعداد أجيال واعية تضع نصب أعينها الارتقاء بالأمة والوطن، وتقدم مصلحة الأمة والمجتمع على مصالحها الشخصية. فتنشئة وإعداد أجيال متمسكة بدين الأمة، وأعرافها وعاداتها، وتقاليدها غاية مثلى لكل أمة تسعى إليها كل أمة. لأن القوة والمبادئ الأساسية والمصيرية التي تحافظ على صمود الأمة واستمرار بقائها كامنة في حياة مثل هذه الأجيال.

مرحلة الشباب من أكثر مراحل عمر الإنسان حيوية ونشاطاً. وتبدأ غايات الإنسان السامية،

ومشاعره المختلفة، وخياله الخصب وأحلامه، وعواطفه الممتعة بالتشكل في هذه المرحلة العمرية. ففي هذه الفترة تتشكل ما سيحتاجه الإنسان من علوم ومعارف مفيدة، وعادات جميلة، وقوة الشخصية، والصبر والجلد، والثقة، والإرادة والعزم، والقدرة على التحمل والكفاح مدى الحياة. فتشكل الغايات والمثل السامية، والأمور التي من شأنها توجيه مسار حياة الإنسان يتحقق في هذه المرحلة. ففي هذه النقطة تبدأ المسؤوليات والواجبات.

وفي هذه المرحلة يبدأ الاستعداد لمواجهة أعباء الحياة، واكتساب السعادة الأبدية، والوصول إلى طعم شرف العبودية. فهذه الفترة تعد إحدى أهم مراحل عمر الإنسان. ولهذا ينبغي بذل أقصى الجهود لجعل هذه المرحلة مثمرة ورياضة بالخير والبركة، ووضع خطط وإعداد مشاريع مهمة في هذا المضمار.

تحديد الهوية

ومن إحدى المسائل المهمة الأخرى التي تؤثر على الشباب هي مسألة الهوية. فعدم القدرة على معرفة الذات، والعجز عن اتخاذ القرارات، وعدم القدرة على تحديد القدوة والمثل الأعلى من أكثر المسائل التي يعاني منها الشباب. فمن المستحيل تقريباً على ابن ثقافة الشرق الذي وقع في أسر الرغبة بالانتماء إلى ثقافة الغرب أن يجد الطمأنينة والاستقرار في حياته، ويتعرف على ذاته، حيث لم نجد نموذجاً إيجابياً نجح في تحقيق ذلك.

إننا أمام شباب جذوره من الشرق، ورغباته من الغرب؛ شباب ينزع نحو الغرب أو يجري تعليمه وتنشئته وتوجيهه في هذا الاتجاه رغم أن دينه، وأخلاقه، وثقافته، وأعرافه وعاداته، وتقاليده من الشرق. أمام شباب يحاسب الغرب ويحاكمه وفي الوقت ذاته يستमित لأن يصبح غربياً.

إن مسألة الهوية من أكبر المشكلات التي يعاني منها الشباب في عصرنا الحاضر. فكما أن لكل شخص كإنسان هوية دنيا؛ وسلالة ينحدر منها، وعرقاً يرتبط به، وقوماً ينتمي إليه، فإنه في الوقت ذاته يمتلك هويات عليا أيضاً، مثل الدين، واللغة، والأمة. والقرآن الكريم لا ينكر أو يرد الهويات الدنيا أبداً. حيث أن القرآن يبين أن الناس جميعاً ينحدرون من الجذر ذاته، ومن هذا الجذر تفرع الناس إلى قبائل وأقوام وشعوب شتى:

﴿بِأَيِّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾

[الحُجُرَات: ١٣]

فالغاية من هبوط الناس إلى الأرض وجعل الأرض صالحة لحياتهم هو أن يتعارفوا فيما بينهم وبينوا علاقات الأُنس والمحبة المتبادلة مع بعضهم البعض. وبإمكان كل إنسان الحفاظ على هوياته الدنيا ضمن هذه المعايير، وتنميتها، والاعتزاز بها. وهناك هوية مهمة أعلى من هذه الهوية ألا وهي هوية الأمة. وهذه الهوية من شأنها احتضان الهويات الأخرى، ولم شملها، وحمايتها ضمن مناخ من السلام والطمأنينة. وأما الهوية الأعلى من كل هذه فهي هوية الدين والأخوة.

إن هوية الدين والأخوة هوية جامعة، وموحدة، وحاضنة. وهذه الهوية ذات ميدان واسع وشامل بناء على مبدأ "إنما المؤمنون أخوة". حيث يقول الله:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحُجُرَات: ١٠]

فدائرة هذه الهوية واسعة. والمبدأ الأساسي لهذه الهوية هو "التوحيد". فالدعامة الأولى والثابتة التي لا تتزحزح لهذه الهوية هي الإيمان بوجود الله ووحديته. فكل من يؤمن بوجود الله ووحديته،

إن أزمة الهوية عبارة عن كتلة مشكلاتٍ محزنة طرحتها شخصيات منحرفة وشاذة وفوضوية ظهرت نتيجة صراع ثقافات مختلفة. كما أن مشكلة الهوية مشكلة عامة منتشرة في كافة أنحاء العالم، وهي تزداد حدة بالتدرج في بلادنا أيضاً. إذ أن التطور السريع لوسائل التواصل الاجتماعي وشبكات الاتصالات، وزيادة الاحتكاك بين الشعوب، وتسارع وتيرة التمدن بالتوازي مع التحول الصناعي، وضعف اهتمام الآباء والأمهات بأطفالهم نتيجة توجههم للعمل خارج البيت، وضعف الحوار بين الطلاب والمعلمين في المدارس، وتسلسل القوى الخفية، وأصحاب النوايا الخبيثة والخائنة إلى صفوف الشباب، وعمليات الهدم والتخريب التي تمارسها الفضائيات المنفلتة ببث المحتويات البذيئة والخليعة دون رقيب أو حسيب، وانتشار الكحول والمخدرات تتسبب شئنا أم أبينا بظهور أزمة الهوية، وتصب تماسك فئات المجتمع وانسجامها وخاصة الأجيال الشابة منها.

وبرسالة محمد ﷺ وبجميع الأنبياء والرسل، وبالكتب السماوية، وباليوم الآخر فإنه يعمل على تطوير كافة الهويات الدنيا التي يمتلكها ضمن هذه الهوية الشاملة ليصل إلى الأخوة. وهذه الأخوة أخوة أبدية. وإن طريق الوصول إلى السعادة في الدنيا والآخرة إنما يكون من خلال الارتباط بهذه الأخوة. وأما العناصر الأخرى المهمة لهذه الهوية بعد التوحيد فهي الإيمان بالقرآن الكريم، والتوجه إلى القبلة، والانتماء إلى أمة النبي عليه الصلاة والسلام وغير ذلك. وإن طمأنينة مرحلة الشباب وسكيتها، واستقرارها، وأمنها، وسعادتها، ووحدتها، وتماسكها إنما يتحقق من خلال هذه الهوية. ومن البدهي القول أن من يجدون ذاتهم ويتعرفون عليها في هذه الهوية لن يضلوا ولن يشردوا، ولن يسيئوا إلى بعضهم البعض، ولن يشككوا تهديداً لوطنهم وقومهم أبداً، فهذا الأمر مفروغ منه ولا يحتاج إلى كهانة أو عناء تفكير. ونود أن نختم مقالنا هذا لتقييمات أدلى بها أحد علمائنا من أهل العلم والفكر:

النعمة التي لا تُعرف قيمتها

الحياة بغفلة إنما هي الحياة المليئة باللعب في الطفولة، والشهوة في الشباب، والضياح في الرشد، والحسرة والندامة في الشيخوخة على ما فات. وكم يؤسفنا حينما نجد أن قليلاً من الناس يدركون قيمة النعم التي بين أيديهم قبل أن يُحرموا منها. وأكثر الذين يأسفون على هدر الشباب ثروة شبابهم بجهل وبلا مبالاة إنما هم من الشيوخ الذين فهموا قيمة تلك النعمة التي فقدوها، لذلك قيل: «ليت الشباب يعلمون، وليت الشيوخ يعملون».

إن الحياة نعمة عظيمة القيمة وهبها الله سبحانه وتعالى لكل مخلوق ليستعملها مرة واحدة في وقت محدد، فلا بد من ملء الأوقات بالأعمال التي تليق بقيمتها، ذلك أنك لا تستطيع أن تُعير الوقت ولا تستعيره، وقد تقدر على شراء أي شيء، لكن شراء الوقت محال...
فاعلم قيمة الوقت، كي لا تشعر بالحاجة إلى تغيير أي شيء في مخطط أعمالك حتى لو قيل لك: «غدًا ستموت».

الثبات على الدين

قال الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ

انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (الحج: ١١)

هناك بعض الناس الذين من عادتهم نسيان الخالق المنعم والرزاق الحقيقي وعصيانه، يعبدون الله تعالى وهم في شك من دينهم، ولكن ليس هناك يقين ولا ثبات في عبادتهم. إنهم لا يتمسكون بالصدق في دينهم لكي يتيسر لهم العودة إلى الجهة الأخرى في حال جرت الرياح كما لا يشتهون، ولم تسر الأمور لصالحهم، أو تعرضوا للضرر دنيوي. فمثل هؤلاء إذا أصابهم خير ونفع، اطمأنت قلوبهم وعدوا هذا الخير من الدين. وأما إن أصابتهم فتنة وشر، ارتدوا وتركوا الدين، وانتقلوا إلى جبهة الكفر والضلال.

وقد ورد عن المفسرين أمثال فخر الرازي وغيره أن هذه الآية نزلت في طائفة من الأعراب كانوا يقدمون على رسول الله ﷺ إلى المدينة مهاجرين من باديتهم، وكان أحدهم إذا قدم المدينة: فإن قوي بها جسمه، أو ولدت فرسه مهراً حسناً، أو ولدت امرأته ولداً، أو كثر ماله وماشيته، رضي واطمأن، وثبت على دينه، وقال:

ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلا خيراً. وإن أصابه وجع في المدينة، أو ولدت امرأته بنتاً، أو ذهب ماله، أو تأخرت عنه الصدقة، تشاءم بالإسلام فقال: والله ما أصبت منذ كنت على دينك هذا إلا شراً، فينقلب على دينه، ويرتد عنه.

فالله ﷻ يشبه حال الذين لا يطمئنون في دينهم ولا يثبتون عليه بحال الجنود الذين يقفون جانباً في المعركة ويترقبون سيرها من بعيد؛ فإن رأوا نصراً وغلبة اشتركوا فيها، وأما إن رأوا تقهقراً وهزيمة لاذوا بالفرار.

وبناء عليه فإن الإنسان المتذبذب وغير الثابت على دينه كحال الذي يدور حول المعركة ولا يدخل إلى ميدانها تماماً. ويُطلق على مثل هؤلاء اسم المنافقين. ففي معركة أحد امتنع نحو ثلاثمئة من المنافقين عن القتال في لحظات حرجة، فأظهروا النفاق الذي كانوا يضمرونه في قلوبهم، وأماطوا اللثام عن جريمة خيانتهم للدين.

تبين الآية الجليلة الآتية مراد الله ﷻ من جعل الشيطان يوسوس للإنسان ويغويه:

﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأعراف: ٢٠٠)

أي إن الشيطان يتربص من أجل الإيقاع بالإنسان وغوايته، فإذا ما بدأت الوسوسة أثناء الغضب، فيجب فوراً الالتجاء إلى الله تعالى تجنباً لشر الشيطان، وذلك بالاستعاذة منه ومن شره.



من دروس
الشيخ محمود سامي
رمضان أوغلو

﴿ الشكر على الروحانيات ﴾

إن الله ﷻ يهدي بعض عباده إلى طريق السير والسلوك الروحاني. وهؤلاء إذا ما سلّموا أنفسهم لمرشد حقيقي، وساروا على طريق الإخلاص والاستقامة طالبين رضا الله تعالى، وحرصوا على الحلال والحرام، فإنهم سوف ينالون بإذن الله ﷻ ما يُرضيهم بقدر ما يبذلون من جهد ويظهرون من ثبات. وعندما يقطعون أشواطاً في الدروس المعنوية، تستوطن في أنفسهم محبة الله وخشيته. وفي الوقت ذاته يرتقون في مختلف شعب الأخلاق الحميدة، مثل: الأدب، والحياء، والتواضع، والعفو.

وأما إذا لم يتخلقوا بهذه الأخلاق، ولم يتصفوا بهذه الصفات الجميلة، فلا يُعدون مستفيدين من هذه الدروس على الوجه اللائق والمطلوب. وإذا انزلقوا إلى مزلق العجب والغرور بظن أنهم أتموا السير والسلوك، أي إذا عدّوا أنفسهم في مرتبة أعلى من الآخرين وأهملوا واجبات العبودية، فإنهم يصبحون من الخاسرين. إن واجب المؤمن الحقيقي ترديد عبارة "الحمد لله على كل حال" في كل أحواله وتقلباته، وذلك سواء كان في حال الضيق أم السعة، أو في حال المرض أم الصحة، والإحساس بمعنى هذه العبارة بقلبه ومشاعره.

يقول إبراهيم الدسوقي رحمه الله:

يا أخي، احذر من أن تدعي إذا عملت لنفسك أمراً خاصاً أنه بقدرتك. لأنه سوف تدعي بعد ذلك أنك امتلكت حقاً بجهدك، بينما الحال غير ذلك. واعلم إذا وقفت في الصلاة أن الله هو الذي مكّنك من الوقوف على قدميك. وكذلك كل الأعمال التي تقوم بها. فإذا عملت عملاً فلائنه أراد لك أن تعمله. والخلاصة أنك سوف تصبح بحال ترى فيها أن كل شيء منه... فعندما تبصر شيئاً ستعلم بأنه هو الذي جعلك تبصر. وإذا دمت على هذه الحال وارتشفت الشراب المعنوي ستعلم أيضاً بأن الأمر منه. تقول هو الذي سقاني... ولا أحد غيره. وإذا تجنبت سوءاً، وحفظت نفسك من شر واتقيته، لا بد أن تعلم بأنه هو من أكرمك. وإذا ارتقيت درجات، وعلا مقامك... فاعلم بأنه هو من رفع شأنك، وزاد من درجتك.

وإذا بلغت أحوالاً مادية أو روحانية سامية، اعلم بأنه هو من أعانك على نيلها. ليس لك من الأمر شيء... وليس عليك إلا الاعتراف بأنك عاصٍ لا أكثر ولا أقل... وليس لك ما تحسن به إلى نفسك أبداً.

ومن أين لك الحسنه وهو الذي أحسن إليك؟ وهو الحاكم فيك، إن شاء قبلك، وإن شاء ردك.

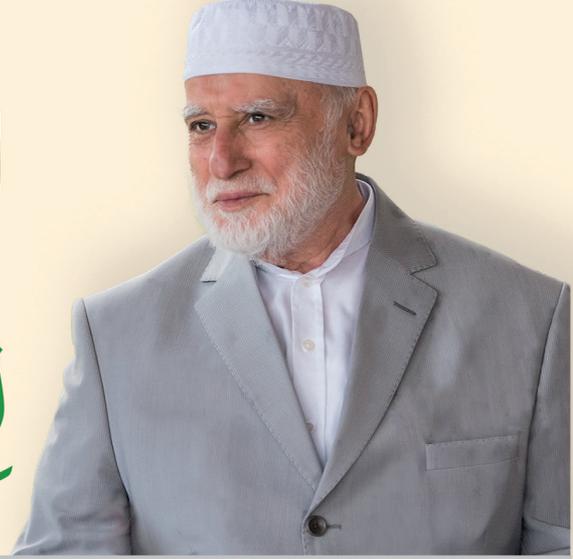
من دروس

الشيخ

موسى طوباش

العلامات الفارقة

لشخصية المسلم



الشخصيات النموذجية وفي قصص حياتهم سنجد أنها كلها انعكاس من الأخلاق النبوية.

ومن الأمثلة على ذلك حاتم الأصم. إذ جاءت إليه ذات يوم امرأة مسكينة ضعيفة تسأله عن مسألة، فخرج منها في تلك الحالة صوت، فخجلت المرأة خجلاً شديداً فصارت وكأنها شمعة ذائبة من شدة الخجل. فما كان من حاتم إلا أن رفع يده إلى أذنه بكل وقار وهدوء وكأنه لم يسمع شيئاً، وقال لها:

"لا أسمعك فأرفعي صوتك".

وأراها من نفسه أنه أصم. فسُرت المرأة بذلك وعادت إليها الروح من جديد حيث ظنت أنه أصم لا يسمع.

ونتيجة لهذا السلوك الرفيع الذي لم يُر له مثل في أدب التعامل والمعاشرة لدى أمة من الأمم أطلق عليه لقب الأصم. إذ أنه بعد هذه الحادثة أظهر للناس أنه لا

لقد تحدثنا في كتاب "السلسلة الذهبية" عن أولياء الله الصالحين الذين ظهروا عبر التاريخ منذ عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام وحتى وقتنا الحاضر. فكانوا نماذج "القدوة الحسنة" من العصور التي عاشوا فيها والتي تغذت معنوياً من رسول الله. وهم الممثلون لرسول الله ﷺ الشخصية الفريدة المهداة للإنسانية جمعاء. فهم ورثة النبي ﷺ الذين عاشوا الإيمان بالعشق. هم أهل الحظوة الذين أوصلوا قلوبهم إلى قمة كمال الأخلاق والسلوك بالاغتراف من فيض النبي ﷺ. هم الشخصيات المثالية والقدوة المحتذى بالنسبة لمن لم يتشرف برؤية رسول الله وأصحابه الغر الميامين. هم بمثابة فروع الأخلاق النبوية المنتشرة والمفتوحة في مختلف الأزمنة والأمكنة. ومنبع فيض قلوبهم هو رسول الله ﷺ.

وإذا ما تمعنا ملياً في خلفية الأقوال المليئة بالحكمة، والأحوال الفياضة بالعبارة في قلوب تلك

"كان لي دكان في بغداد فيه متاع لي، فاحترق السوق فلقيني رجل فقال: أبشر! دكانك سلمت. فقلت: الحمد لله، ثم فكرت فرأيتهما خطيئة. أي أنني فكرت في نفسي دون أن أفكر بإخوتي الذين احترقت دكاكينهم. وأنا أستغفر الله من ذلك الحمد منذ ثلاثين سنة".
ومن الأمثلة الأخرى:

ذات يوم قال أحد التلاميذ ممن كان يقوم ببعض

شؤونه: لقد حضرت بعض اللحم، ألا ترغب في أكله معي؟. ولما سكت داوود الطائي قام التلميذ فجاء باللحم ووضعه أمامه. إلا أن داوود

الطائي نظر إلى اللحم الموضوع أمامه، وقال: "يا بني! ما أخبار اليتامى - مشيراً بذلك إلى بعض اليتامى الذين يعرفهم -؟". فقال التلميذ بصيغة تشير إلى سوء أحوالهم: كما تعلم يا سيدي! فقال داوود الطائي:

"إذا؛ خذ هذا الطعام وأعطهم إياه!".

فقال التلميذ المخلص الذي كان يرغب بشدة أن يتناول أستاذه من هذه الضيافة التي حضرها له: ولكن يا سيدي! لم تذق اللحم منذ مدة طويلة! وأصر تلميذه على رغبته. إلا أن داوود الطائي لم يقبل عرضه، وقال:

"يا بني! إذا أنا أكلت هذا اللحم فإنه لا يلبث أن يخرج مني، وأما إن أكله اليتامى فإنه سوف يصعد إلى العرش الأعلى حيث البقاء الأبدي!".

يسمع حتى لا تشعر تلك المرأة بالخجل إن سمعت أنه ليس بأصم. ولكنه بعد وفاة المرأة قال لمن حوله: أذناي تسمعان، ولكم التحدث بصوت منخفض! وتعالوا لننظر أيضاً إلى هذه الحادثة من عصر السعادة؛ إذ نجد فيها سلوكاً قل نظيره في اللطف وحسن التعامل:

كان عمر رضي الله عنه في بيت مع جماعة من الناس، ومعه

جرير بن عبد الله البجلي، فوجد عمر ريحاً. فقال: "عزمت على صاحب هذه الريح لما قام فتوضأ" فقال جرير: يا أمير المؤمنين! أو يتوضأ

القوم جميعاً. فقال عمر الذي أعجب بهذا السلوك والتفهم الرفيع:

"رحمك الله، نعم السيد كنت في الجاهلية، نعم السيد أنت في الإسلام". (علي المتقي، كنز العمال، رقم: ٨٦٠٨)

فكما يتبين لنا مما سبق فإن اللطف وحسن التعامل والذوق الرفيع الذي أبداه حاتم الأصم هو انعكاس للأخلاق النموذجية التي تحلى بها رسول الله وأصحابه الذين رباهم أحسن تربية. وواحدة من الأمثلة على تلك الأخلاق الجميلة المنتشرة على مر الأزمنة.

ويعبر السري السقطي وهو من كبار أولياء الله عن ندمه الشديد من لحظة غفلة وقع فيها عندما لم يشعر بألم وخسارة أخيه في الدين، وحيث يقول:



ولي مبارك وعزيز مثل آق شمس الدين في زمني
وبصحبتي...".

لأنه كان بدوره في موقع الممثل الكامل في ذلك
العصر لشخصية رسول الله ﷺ النموذجية والقدوة.

فكما أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة رغم أنه
قائد عظيم منتصر:

"لا عيش إلا عيش الآخرة". حتى لا يصيبه الغرور،
والكبر والزهو، والطغيان، والأنانية، ولا ينخدع
بالدنيا فتتناقص رغبته بالآخرة؛ فإن آق شمس الدين
كان شخصية نموذجية متشربة للشخصية النبوية
وموزعها إلى آفاق اسطنبول.

فبعد صلاة الجمعة الأولى التي أعقبت فتح
اسطنبول حضر آق شمس الدين احتفالات
النصر التي أقيمت في ميدان أوق ميدان،
ووجه وصايا ونصائح لذلك الجيش
المنتصر. حيث حذرهم من الغفلة،
ودعاهم إلى الشكر والحمد، والإنفاق،
فقال:

"أيها المجاهدون! اعلموا أن نبي آخر
الزمان عليه الصلاة والسلام قد قال عنكم:
"ولنعم الجيش ذلك الجيش". ونسأل الله أن تكونوا
جميعاً من المغفور لهم. وأدعوكم مقابل هذا الثناء
الذي أثناه عليكم الرسول أن لا تسرفوا في أموال
الغنائم، وتنفقوها في وجوه الخير والإحسان!".

وبذلك فقد شجعهم جميعاً على بناء مؤسسات
الخير لعمارة المدينة وتحقيق منافع الناس حتى فضل
الجيش الذي فتح اسطنبول بفضيلة أخرى.

فكل هذا الذي ذكرنا يظهر أنه بإمكان المؤمنين
الحقيقيين المتخلفين بالأخلاق النبوية تجسيد
شخصية سيدنا رسول الله ﷺ القدوة الحسنة في
مختلف العصور والأزمنة. وهذا الأمر يشمل عصرنا
هذا وقابل للتحقيق فيه أيضاً.

فهذه هي أخلاق أولياء الله الصالحين في التضحية،
والإيثار وتقديم إخوانهم في الدين على أنفسهم، ولا
شك أن الأخلاق النبوية هي أساس هذه الأخلاق.
حيث أن النبي ﷺ لم يكن يفكر بإشباع بطنه قبل إشباع
جوعى أمته. ولم تكن تغمض له جفن حتى ينفق ما
بيده من مال الدنيا. وكانت تلبية حاجة المحتاجين،
وتفريج كرب المكروبين، وتسكين آلام المتألمين،
وإشباع بطون الجائعين يمنحه متعة ولذة معنوية تنسيه
آلام وجوع نفسه.

فقد جاء في الحديث الشريف:

"من لم يهتم للمسلمين عامة فليس منهم" (الحاكم، ٤،

٣٥٢؛ الهيثمي، ١، ٨٧)

"ليس بالمؤمن الذي يبيت شعباناً وجاره جائع

إلى جنبه" (الحاكم، ٢، ١٥ / ٢١٦٦)

ومن مظاهر هذه الأخلاق النبوية
الرفيعة، ما قاله جلال الدين الرومي:

"علمني شمس شيئاً (لكن نُقش في

قلبي، وليس في عقلي)، حيث قال: ليس

من حقلك أن تتدفأ وفي الدنيا مؤمن يعاني
من البرد. وأنا أعلم أن على وجه الأرض مؤمنون
يعانون من البرد؛ لذا لا أشعر بالدفء أبداً!".

فتلقي التربية على يد أمثال هؤلاء من الأولياء الذين
حملوا الشخصية النموذجية لسيدنا محمد المبعوث
ليتم مكارم الأخلاق إلى شتى أصقاع الأرض وفي
سائر الأزمنة والعصور، لهو من أعظم النعم التي يمكن
أن ينالها المرء في الدنيا. فبهذا الإحساس قال السلطان
محمد فاتح الذي أنهى في التاريخ إمبراطوريات وأنشأ
دولة عالمية جديدة، وأغلق الباب على مرحلة تاريخية
وفتحه على مرحلة جديدة، ونال بشارة النبي ﷺ بفتح
اسطنبول، قال يوم الفتح المبارك:

"ما ترونه علي من فرحة وسعادة ليست من
مجرد فتح هذه القلعة فحسب، وإنما نابعة من وجود

وقد نجد أن لكل ولي من أولياء الله صفة مختلفة ومتميزة. لأن الحق ﷻ الذي له حكمة في كل أفعاله خلق الكائنات كلها بصورة متميزة عن بعضها. ووهب عباده أيضاً خصائص مختلفة من الناحية المادية والمعنوية.

وكذلك فإن أولياء الله تعالى الذين اغترفوا من المنبع ذاته، أي من الكتاب والسنة يعكسون اختلافاً وتبايناً في مظاهر التجليات التي نالوها في عالم المعنى، مثلهم كممثل أجزاء قطعة الكرسنال التي تعكس ألواناً مختلفة من الضوء ذاته.

فالبهار والمحيطات لا لون لها، وما الألوان التي تظهر عليها سوى انعكاسات مختلفة للضوء الذي تتلقاه من السماء. وحال أولياء الله كذلك ما هي إلا عبارة عن تظاهرات مختلفة لتجليات أسماء الحق ﷻ في أنفسهم.

فمثلاً جعل الحق ﷻ بعض الأولياء مثل الشاه نقشبند بحراً من الهمة التي لا نظير لها في التصرف المعنوي وفي معرفة الله ﷻ وجعل البعض بكمّاً

صامتين أمام العظمة الإلهية وخصصهم بشاعرية الإرشاد بلسان الحال؛ وجعل البعض بلابل العشق الإلهي مثل يونس امره؛ بينما جعل البعض الآخر بحراً معنوياً واسعاً لا مثيل له تتدفق من أستهم لآلى الحكمة مثل مولانا.

وأما عبد القادر الجيلاني الولي الجليل فهو قبل كل شيء عالم ومرشد كامل عارف بالله. فهو من الشخصيات الاستثنائية التي أكرمها الله بطرح بركة تأثير عظيمة على إرشادهم المخلص حتى في يومنا هذا.

لقد كان كبار مشايخنا وعلماؤنا يقرؤون ويتدارسون كتاب عبد القادر الجيلاني "الفتح الرباني" في مجالسهم. ويمكننا تلخيص بعض الرسائل التي نراها أنها أهم رسائل هذا الكتاب الذي نستعين به أيضاً في كتاباتنا ومجالسنا بالشكل الآتي:

- العلم واجب وضروري للغاية، ولكنه غير كاف وحده. إذ لا بد من تدعيمه بالعمل الصالح. والعمل بدوره غير كاف، وإنما من الضروري حفظه من الرياء وأدائه بإخلاص.

- لتحويل العلم إلى عرفان لا بد من خضوع

النفس للتركيزية. فمهما كان لدى المرء من علوم، حتى لو بلغت مبلغ البحار، فإنها معرضة لخطر التسمم. فنحن نرى حالة التسمم لدى قارون، ولدى بلعام بن باعوراء ظاهرة للعيان. فرغم أنها كانا عبيدين صالحين، إلا أن ميلهما لنفسيهما أصابهما بالتسمم والفساد. إذاً؛ إن كل مؤمن ملزم بحفظ ذاته من شر النفس. أي أن تركية النفس من أهم وأولى المسائل. فقد قال النبي ﷺ:

يقول عبد القادر الجيلاني - رحمه الله -
لتحويل العلم إلى عرفان لا بد من خضوع
النفس للتركيزية. فمهما كان لدى المرء من
علوم، حتى لو بلغت مبلغ البحار، فإنها
معرضة لخطر التسمم.
فنحن نرى حالة التسمم لدى قارون،
ولدى بلعام بن باعوراء ظاهرة للعيان.
فرغم أنها كانا عبيدين صالحين، إلا أن
ميلهما لنفسيهما أصابهما بالتسمم والفساد.

"المجاهد من جاهد نفسه" (الترمذي، فضائل الجهاد، ٢/١٦٢١)

وكذلك نجد أن عبد القادر الجيلاني توقف على مسألة "التوحيد" كثيراً. وفي الحقيقة تعد العقائد من أكثر مسائل الدين حساسية ودقة. لأن عقيدة التوحيد لا تتحمل الإشراك أبداً. فالعقائد لا تقبل التهاون أو الاستهتار بشكل من الأشكال.

كل مؤمن ملزم بحفظ وحماية عزة الإسلام، وكرامته، وهيبته، ووقاره. ولهذا فعليه الابتعاد عن التشبه بأهل الضلال، وتجنب التآلف مع أهل الكفر

والغفلة. ويسعى جاهداً لصحبة الصالحين والصادقين والاستفادة المعنوية منهم.

على المؤمن أن يكون في كل امتحان متمسكاً بالإيمان بصدق، وأن يظهر الرضا بالتقدير الإلهية، ولا يشعر بالحاجة إلى غير الله ﷻ، وأن يستغني عن الفانين، وأن يكون همه الآخرة لا الدنيا. وأن يكون بحالة الزهد والرياضة القلبية تجاه الدنيا. وأن يحذر من الغفلة والشهوات والأهواء. وأن يكون مرتبطاً بالقرآن والسنة في سائر أحواله وتقلباته. وأن يفر من الحرام كما يفر من النار، ويكون كسبه ومأكله ومشربه من الحلال. وأن يحذر من البخل، ويتحلى بالكرم والتضحية.

وأن يبتعد عن الإسراف، والتباهي بالمال والقوة، ويتحلى بالتواضع وخفض الجانِب. وكذلك ينبغي على المؤمن أن يدرك أهمية وقيمة الوقت جيداً، فعليه المبادرة إلى التوبة وإصلاح حاله قبل حلول الأجل، وأن يسعى جاهداً لقضاء ما تبقى من عمره بالعمل الصالح.

والحاصل، يمكننا القول أن الرسائل الأساسية في كتاب شيخنا عبد القادر الجيلاني هي تطبيق الإسلام بحس التقوى وبحالة من العشق والوجد.

وعن أولياء الله الذين عرفهم هذا العصر- سامي محمود أفندي، ووالدي موسى أفندي- هنالك الكثير من الذكريات التي يمكن الحديث عنها في هذا المجال. ولكن الأمر الذي أود الحديث عنه أولاً هنا هو الأفق الواسع والفسيح من الرحمة والشفقة لدى أولئك الرجال الكبار. فكما أن النبي ﷺ يقول:

"التراحم، ليس برحمة أحدكم ولكن رحمة العامة رحمة العامة". (الحاكم، ٤، ١٨٥/١٠٧٣١)

فإن كلاً من سامي أفندي، وموسى أفندي كانا بمنتهى الرحمة والشفقة تجاه كافة المخلوقات، وكانت هذه الرحمة ظاهرة بادية للعيان. وكانا يتعاملان بالرفق والرحمة والشفقة بمبدأ الرحمة بالخلق في سبيل الخالق، وأنقل إليكم بعضاً من آداب وحساسية سامي أفندي وموسى أفندي بخصوص الأضحية:

فقد كان سامي أفندي والمرحوم والدي موسى أفندي يتصرفان بغاية الحذر والحساسية عند ذبح الأضحية.

حيث كانا يسقيان الأضحية الماء، ولا يأخذانها إلى مكان الذبح بالدفع والجر. فإن كانت الأضحية من الشياه يأخذها باحتضانها بكل لطف وشفقة.

كما يغطيان عيني الأضحية. ولا يذبحا أضحيتين في نفس المكان، بل ينظما حفرة لكل منهما ويذبحاها على التوالي. وكانا دقيقين في مسألة أن تكون الموس المستخدمة في الذبح غاية في الحدة. فكانا يرغبان بذبح الحيوان دون إلحاق أي أذى به.

لا شك أن هذه الحساسية كانت مظهراً من مظاهر أخلاق رسول الله ﷺ في ورثته.

حيث أن النبي ﷺ مر برجل، وهو يجرشاة بأذنها، فقال:

"دع أذنها، وخذ بسالفتها" (ابن ماجه، الذبائح، ٣) ويروي ابن عباس ؓ:

أن رجلاً أضجع شاة يريد أن يذبحها وهو يحد شفرته، فقال النبي ﷺ:

"أتريد أن تميتها موتات هلا حددت شفرتك قبل أن تضجعها". (الحاكم، ٤، ٢٥٧/٧٥٦٣)

إن غاية التصوف

ليست الوصول إلى

الكشف والكرامات، وإنما

هي بلوغ كمال العبودية، وتطبيق

الشريعة بشكل كامل وبها يليق

بصاحبها وإمضاء العمر على الاستقامة

من خلال الوصول إلى معرفة الله سبحانه

وتعالى، ومحبة الله، وخشية الله،

والإحسان والتقوى...



وكان كل من سامي أفندي، وموسى أفندي اللذين اتخذوا من هذه التصرفات والحساسيات النبوية وأمثالها دستور حياتهما لا يجلسان على الكرسي أثناء ذبح الأضحية، وإنما كانا يقفان على قدميهما بحالة وجد العبادة حتى تدفق آخر قطرة دم من الذبيحة تعظيماً لأمر الله تعالى.

كان يتفكران في نعم الحق ﷻ، وهما بحالة الشعور بالعبودية والتذلل. وبذلك كانا يعلماننا بحالهم أن الأضحية أيضاً عبادة كبرى من ناحية التفكير والمعنى شأنها كشأن باقي العبادات، وعلينا الإيفاء بها بغاية الأدب.

وكان كل من سامي أفندي، وموسى أفندي اللذين اتخذوا من هذه التصرفات والحساسيات النبوية وأمثالها دستور حياتهما لا يجلسان على الكرسي أثناء ذبح الأضحية، وإنما كانا يقفان على قدميهما بحالة وجد العبادة حتى تدفق آخر قطرة دم من الذبيحة تعظيماً لأمر الله تعالى. كان يتفكران في نعم الحق ﷻ، وهما بحالة الشعور بالعبودية والتذلل. وبذلك كانا يعلماننا بحالهم أن الأضحية أيضاً عبادة كبرى من ناحية التفكير والمعنى شأنها كشأن باقي العبادات، وعلينا الإيفاء بها بغاية الأدب.

ومن جانب آخر كان لهما الكثير من النماذج والأمثلة حول سعة رحمتهم وشفقتهم بالمخلوقات في سبيل الخالق. فمثلاً كان المرحوم والدي موسى أفندي يروي الحادثة الآتية:

بينما كنت في سفر مع سامي أفندي ذات يوم إذا برجل يقترب من السيارة في منطقة أورغوب ويطلب منه مالاً ثمناً لعلبة سجاثر. ورغم الاعتراض الصامت منة بعض الأصدقاء المرافقين إلا أنه لبي الرجل فأعطاه قائلاً:

"طالما أنه طلب، فما من بُدٍ للتلبية!"، فأعطوه. ولكن الفقير الذي سر بهذا التصرف غير رأيه، حيث ابتعد قائلاً بفرح: سوف أذهب وأشتري بهذا المال طعاماً".

فببركة النية الصادقة والمخلصة حرك ذلك المال المكتسب من الرزق الحلال، ميول الخير في قلب ذلك الرجل الذي أخذه. فتخلى عن شراء السجائر وقرر شراء الطعام عوضاً عنه.

إذاً علينا ألا ننسى أن المهم والمعتبر في أعمال الخير المنفذة لوجه الله تعالى هو الحالة القلبية لدينا، أكثر من الحالة القلبية لدى من يتلقى هذا العمل.

إلى جانب أنه إذا ما حللنا هذا المثال بعين القلب، فإنه سرعان ما يتبادر إلى الذهن حقيقة نبوية. فحسب ما ورد في حديث شريف أن رجلاً قال:

"قال رجل: لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تصدق على سارق فقال: اللهم لك الحمد، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يدي زانية، فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة على زانية، فقال: اللهم لك الحمد، على زانية؟ لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها في يدي غني، فأصبحوا يتحدثون: تصدق على غني، فقال: اللهم لك الحمد، على سارق وعلى زانية وعلى غني، فأتي فقيل له: أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقة، وأما الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها، وأما الغني فلعله يعتبر فينفق مما أعطاه الله" (البخاري، الزكاة، ١٤ / ١٤٢١؛ مسلم، الزكاة، ٧٨ / ١٠٢٢)

فهذه هي إحدى بركات النية الخالصة في عمل الخير، والرحمة والشفقة بالمخلوقات في سبيل الخالق...

وكانت الكياسة واللطف والإحساس المرهف في التعامل وخاصة في الإنفاق صفة استثنائية لدى والدي المرحوم موسى أفندي أيضاً. لأنه جاء في الآية القرآنية:

﴿... اللَّهُ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ

الصَّدَقَاتِ...﴾ [التوبة: ١٠٤]

ولهذا فإنه كان إذا ما أعطى زكاة أو صدقة أو هدية لأي إنسان، فإنه يقدمها بغاية اللطف. وكان يكتب على الظرف الذي يقدمه عبارات جميلة وظريفة، مثل "أيها... المحترم، أشكركم جزيل الشكر لتفضلكم بالقبول". لأن الغاية كانت التمكن من الدخول إلى القلب الذي هو محل النظر الإلهي، ومن ثم الوصول إلى رضا الحق ﷻ.

وكان أكثر جهده داخل العائلة منصباً على تعليم أبنائه كلام الله تعالى، وإعطائهم علوم القرآن، وتحبيبهم بالنبي ﷺ. وكان يثني على من يقوم بخدمته، ويذكر بالحديث الشريف "سيد القوم خادمهم" (الدليمي، الفردوس بمأثور الخطاب، رقم: ٣٤٧٣)

وكان والذي يشير وبشكل دائم إلى أن الخادم يمكن أن يتقدم على المخدم. لأن القلوب مفتوحة إلى الله تعالى. لذا كان يحث دائماً على الخدمة. وحتى في وقت قريب من وفاته كان يقول:

"ليتني أجد في جسدي قوة، فأتجول في القرية قرية قرية، وأوصيهم بطريق التقوى هذا".

وقد كان يهتم بأمور أمة محمد وهمومهم. فمثلاً كنا نذهب إلى أذربيجان فتمكث هناك أسبوعاً أو عشرة أيام ثم نعود. فكان ينتظرنا بلهفة حتى وإن وصلت الطائرة في ساعة متأخرة من الليل، وكنا ما إن نصل حتى يسرع إلينا، ويسأل: ماذا هناك من أحداث؟. فقد كانت هموم المسلمين همومه الشخصية.

عندما كنا نعمل في التجارة، كان هناك شخص يتردد كثيراً إلى محلنا، ويطلب المساعدة. وذات مرة قال له العامل:

لقد كان مجيئك قريب عهد، فقد أتيت بالأمس، وهذا الأمر مرفوضٌ!. فسمعه، والذي من الداخل، فنادى العامل، وقال له:

"اسمع يا بني! نحن نطلب من الله باستمرار. ففقد تناولنا فطورنا صباحاً، وسنطلب مجدداً طعام الغداء، وكذلك سنطلب طعام العشاء أيضاً. وأما هذا المسكين فإنه يأتيك ويطلب منك مرة كل يومين أو ثلاثة..".

كان يطلب منا إعطاء شيء ولو يسير لكي لا يخرج السائل خاوي اليدين، وكى لا نعتاد عدم العطاء. إذ أن الله تعالى يخاطبنا من خلال رسول الله فيقول:

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠]

وكان موسى أفندي إذا ما وعد وعداً فإنه ينفذه بكل تأكيد.

وبالطبع هذه الصفات من المزايا التي ينبغي أن يتخذها المسلم مثلاً له يحتذي به...

وكذلك الأمر في حياة موسى أفندي من حيث الترتيب والتنظيم العجيب. وكان هذا الأمر يسري

يقول الشيخ أبو

الحسن الخرقاني:

"إنما يترقى الرجال (الأولياء)

بطهارة الباطن (تزكية النفس وتصفية

القلب)، لا بكثرة العمل".

"الصلاة، والصوم وسائر العبادات

عظيمة، ولكن تصفية القلب من الكبر

والحرص والحسد وغيره من الصفات

الذميمة أعظم وأجل".

وفي الحقيقة فإن السر وراء ارتقاء كل

الأولياء وأهل الله هو هذه الحالة

من التواضع، والافتقار

والعدم، والفناء.

على كل أحواله. فكان قلبه الرقيق يشعر بالضيق حتى من خيوط أطراف السجادة المفروشة للصلاة إذا كانت مبعثرة أو مطوية، فلم يكن يقف للصلاة حتى يصلحها.

وكل هذه الأمور ما هي في الأساس إلا مظهر من مظاهر ظرافة ورقة فخر الكائنات عليه الصلاة والسلام المنعكسة على أولياء الله تعالى. حيث أن هذا الأمر شبيه بموقف رسول الله الرافض للفوضوية وعدم الرتبة، وحبه للمظهر اللائق والذي يبدو جلياً في الحادثة الآتية:

بينما النبي عليه الصلاة والسلام في المسجد ذات يوم دخل رجل نائر الرأس واللحية. فأشار إليه رسول الله بيده أن اخرج. كأنه يعني إصلاح شعر رأسه ولحيته. ففعل الرجل، ثم رجع. فقال رسول الله:

"أليس هذا خيراً من أن يأتي أحدكم نائر الرأس كأنه شيطان؟" (الموطأ، إصلاح الشعر، ٤، ٥٣٥)

والحاصل؛ إن كلاً من موسى أفندي، وسامي أفندي شأنهما كشأن غيرهما من أولياء الله الآخرين كانا من الشخصيات النجوم الذين اعترفوا من أخلاق رسول الله المثالية وأضأوا دروبنا بالمحاسن النبوية التي تمثلوها وبلغوها بأفعالهم وأحوالهم، لا بأقوالهم فحسب. فرضي الله عنهم أجمعين...

لقد تحدثنا فيما سبق عن القدوة الحسنة، واسمحوا لي للإشارة إلى الجانب السلبي -القدوة السيئة-... حيث أن هناك تحذيرات من قبيل "لا تكونوا كمثلي هؤلاء" سواء في القرآن الكريم، أو الأحاديث النبوية

الشريفة. وإذا أردنا أن نوجه في وقتنا الحالي تحذيراً، فما هي الأمور التي يمكن أن نقول لإنسان مسلم تجنب وجودها في شخصيتك؟

ينبغي أن تخلو شخصية المسلم من المعاصي الباطنية كما الظاهرية. فنحن كمسلمين نتعد بشكل عام عن المحظورات الظاهرية. لأن هذه المحظورات عيوب ونواقص من شأنها أن تنعكس إلى الخارج، وقابلة للرؤية والملاحظة من قبل الآخرين. ولا يمكن أن يقبلها أي مسلم على نفسه. ولكن ليس من الممكن كثيراً قول الأمر ذاته بالنسبة للمحظورات الباطنية. لأنه ليس لهذه المحاذير جانب ينعكس إلى الخارج. ولهذا يمكن ارتكابها أكثر من الصنف السابق.

والحال أن هناك الكثير من الحرام الباطني الذي يُعد من الكبائر الأشد من الكثير من الحرام الظاهري في دين الله تعالى. فمثلاً ليس من السهل على المسلم أكل لحم الخنزير، ويعتبر هذا الفعل من أعظم الذنوب. بينما المسلم الذي يحذر من فعل هذا بشدة، يتعامل بحذر أقل مع التكلم في غيبة أخيه المسلم، أي يرتكب معصية الغيبة رغم علمه أنها معصية كبيرة بمثابة أكل لحمه ميتاً.

ولهذا يقول الحق ﷻ في كتابه العزيز:

﴿وَدَرَوْا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ...﴾ [الأنعام: ١٢٠]

﴿... وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ...﴾

[الأنعام: ١٥١]

ويلفت أبو الحسن الخرقاني إلى غفلة عموم الناس تجاه الذنوب الباطنة فيقول:

"إذا تطايرت شرارة نار من التنور على ثيابك فإنك

تسارع إلى إطفائها! إذا؛ فكيف لك أن تسمح بوجود النار، مثل الكبر، والحسد، والرياء التي تحرق دينك في قلبك؟!". (الخرقاني، نور

العلوم، ص، ٢٣٩)



إن الغيبة والنميمة محاولة نابعة من الكبر والأنانية تهدف إلى استحقار الغير والرفع من شأن الذات. فكأن فاعلها يقول: إن فلاناً يفعل كذا، بينما لا أفعله أنا.

والغيبة حق من حقوق العبد التي سيدفع الفاعل ثمنها يوم القيامة إن لم يسامحه من وقع عليه الفعل. فكما جاء في الأحاديث النبوية فإن كل الذنوب تُغفر لمن أحيا شهر رمضان إلا ما تعلق منها بحقوق العباد، فهي مستثناة من المغفرة. وحتى الشهيد تُغفر كافة ذنوبه إلا حقوق العباد. (راجع: مسلم، الإمامة، ١١٩)

حيث سيتم أداؤها يوم القيامة. ففي ذلك اليوم يُؤخذ من حسنات المغتاب إن كان له حسنات، ويُعطى لمن وقعت عليه الغيبة؛ وإن لم يكن له حسنات، فيؤخذ من سيئات من ارتكبت الغيبة بحقه وتلقى على المغتاب.

ولهذا يُحث الناس على طلب الصفح والتسامح والتحلل فيما بينهم، حيث ورد في أحد الأحاديث النبوية:

"أيها الناس، من كان عنده شيء فليؤده، ولا يقل: فضوح الدنيا، ألا وإن فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة".

(ابن الأثير، الكامل، ٢، ١٨٢)

والأمر الآخر هو أنه:

ينبغي على المسلم عدم التكبر أبداً. فلا يستحقن أحداً من عباد الله، فإنه كبيرة تهلك الإنسان في الآخرة. حيث يقول رسول الله ﷺ:

"بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم" (مسلم، البر، ٣٢/ ٢٥٦٤)

فمثلاً يقوم صاحب العمل أحياناً بتوبيخ العامل لديه، ولا يستطيع العامل الرد حتى وإن كان محقاً. لأنه

يعلم أنه إن رد فإن سيجد نفسه خارج باب مكان عمله. فعلى المؤمن أن يعلم ويدرك دائماً وأبداً أن امتلاكه القوة أو المنصب لا يمنحه الحق في احتقار من هم أضعف منه أو في مناصب أدنى منه أبداً. كما جاء في الآية القرآنية:

﴿... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ...﴾ [الحجرات: ١٣]

هناك عبارة "هيا أحضر لي كوباً من الماء بسرعة"، وهناك عبارة "هل لك أن تحضر لي كأساً من الماء من فضلك؟" تقال للمستخدم. وفي كلتا

العبارتين تطلب ماء. ولكن الواحدة

منها تحتوي على غلظة وفظاظة،

والأخرى محفوفة باللطف

واللين. وهذا الماء يحدث

تأثيراً على الشارب بحسب

الحالة الروحانية لمن جلبه،

فالأول لا فائدة فيه، بينما

الثاني يشتمل على الشفاء.

وبناء على ذلك علينا أن

نضع أنفسنا مكان المخاطب

دائماً. ومن ثم علينا أن نتصرف

معه كما نحب أن يتصرف معنا. فإن

أردنا أن يولي لنا الغير أهمية، فعلينا

أن نولي نحن أيضاً أهمية للآخرين.

ولكن مع الأسف هناك الكثير من أصحاب

المال اليوم لا يفكرون بهذه الطريقة.

والطامة المهمة والخطيرة الأخرى هي الهوس

بالمباهاة، والإسراف... مثل الهوس بالمنزل الفاخرة

المزودة بأحواض السباحة، والسيارات الفارهة،

والثياب ذات العلامات المسجلة (الماركات) المعينة

وغيرها. والحال أن الإسراف حرام. فقد جاء في

القرآن الكريم:

﴿إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ...﴾ [الإسراء: ٢٧]

وكذلك لا تليق بالإنسان المسلم الوقاحة،
وقلة الحياء والأدب. حيث أن الأدب والحياء من
الصفات التي خصها الله تعالى بالإنسان. فليس لدى
المخلوقات الأخرى مثل هذه الخاصية. وبطبيعة
الحال فهذه المخلوقات ليست خاضعة للمساءلة
والحساب. ومن ثم على المؤمن الالتزام بالأدب
والحياء في نظره، وسمعه، وحديثه، ومشيته، وقيامه
وقعوده، وثيابه، وباختصار أن يكون ذا أدب وحياء في
سائر أحواله وتقلباته.

والحاصل؛ إن هناك الكثير مما يقال في هذا
المجال. ولكن إن أردنا الاختصار فيمكننا
القول:

لا مكان في شخصية المسلم
لأي سلوك أو فعل لا يليق ولا
يتناسب مع أخلاق الإسلام.
وخاصة الكذب، والحسد،
والبغضاء، والمخاصمة،
والتجسس، والظلم، والعدوان،
والقسوة، والاضطهاد، والأنانية،
والرياء، والجشع وغيرها من
الخصال المذمومة.

ينبغي أن يكون المؤمن "إنساناً رحمة"
يأمن الناس من يده، ولسانه، وحاله ومقاله،
ويكون مصدر نفع وفائدة لهم في كل ذلك. وإلا
فإن آثار ونتائج حاله وسلوكه وأفعاله السيئة الخاطئة
لن تقتصر عليه وحده، وإنما ستمتد إلى الإسلام الذي
يتمي إليه، فيحط من قدره واعتباره في نظر الناس،
ومن ثم سينقلب الأمر وبالأعلى عليه في الآخرة.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعاً لأن نكون سفراء
رحمة، وأمة خير، وأن ييسر لنا تمثيل الإسلام وتبليغه
بأحوالنا وأفعالنا بما يليق بسيدنا محمد المبعوث رحمة
للعالمين. آمين!..

فالإسراف محاولة لتجنب الشعور بالنقص
بإظهار القوة. محاولة لإعطاء الذات أهمية وقيمة في
نظر المجتمع عن طريق المال والأموال، واللباس
والهندام والمظهر الخارجي. والحال أن من يضي
القيمة على الإنسان هو شخصيته وطباعه. فالذين
يحاولون جعل أنفسهم مقبولين في نظر الآخرين
وإضفاء القيمة على أنفسهم من خلال الإسراف
والقوة المادية والمالية، يبقون وحيداً في قبورهم
عند وفاتهم. ويختفي المحبون والمحترفون بهم

لأموالهم، وقوتهم ومناصبهم لا لشخصهم
فور اختفاء هذه المظاهر. أي أن
الذين كونوا أحياناً وأصحاب
بمظاهر الإسراف والتبذير
والقوة بيدؤون بمواجهة
عقاب معاصيهم وذنوبهم قبل
الآخرة.

كان يحيى بن معاذ الرازي
رحمه الله يقول لعلماء الدنيا:

"يا أصحاب العلم؛ قصوركم
قصرية، وبيوتكم كسروية،
وأثوابكم ظاهرية، وأخفافكم
جالوتية، ومراكبكم قارونية، وأوانيكم
فرعونية، ومآثمكم جاهلية، ومذاهبكم
شيطانية، فأين الشريعة المحمدية؟!".

وليس من أخلاق المسلم الشح، والبخل وجمع
المال للذات فقط. فقسم كبير من المسلمين في
عالمنا اليوم الذي يئن من الألم، والمرض، والجوع
والحاجة قد حصروا اهتمامهم ورصدوا كل إمكاناتهم
وأموالهم في سبيل تحقيق الرفاهية والسعادة لأنفسهم
دون التفكير بتقاسمها مع الآخرين، فتحولوا بذلك إلى
عبادة المال. وهذه علامة على ذبول العاطفة وسبات
الضمائر لديهم.

وقفات وتأمّلات

مع تبعات

فايروس كورونا



د. عماد أبو الرب

الجميع ويُظهر هذا العجز البشري، وهذه الصورة تحتاج أن نفهم فيها قول الله تعالى:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]

وعلينا كذلك إدراك أهمية العلم للأمة الإسلامية وللإنسانية جمعاء، حيث نرى للأسف ضعف الاهتمام بالكثير من العلوم حتى بات الكثير منا يقصد الدول الأجنبية للعلاج من الأمراض التي أصابته إلا من رحم ربي، والاهتمام بالعلم والعلماء من أهم خطوات الأخذ بالأسباب لوقاية الإنسان بدايةً من أي مرضٍ إضافةً للسعي لعلاجه إذا أصابه مرضٌ أو وباء.

ثانياً: - إدراك ما للمعاصي والذنوب من تأثير على الحياة، فمثل هذه الأوبئة نتيجة طبيعية لما تركبه البشرية اليوم مصداقاً لقوله تعالى:

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَيَعُوذُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]

تفاجأ العالم أجمع بحدوث وباء فايروس كورونا والذي تسبب بإرباك الحياة وتعطيل أغلب مرافقها حتى أنه ألزم الناس بيوتهم وحدد حركتهم وأدخل لنفوس الكثير منهم الحيرة والقلق بل التخوف من واقع مضطرب ومستقبل مجهول.

غير أن المسلم المتبصر في دينه والمؤمن بربه وبالقدر خيره وشره لا يدخل في نفسه خيفة رغم ما يراه من إصابات كثيرة ووفيات متعددة لأنه ربط قلبه وثقته وتوكله على الله وأخذ بالأسباب التي تنطلق من الالتزام بالتعليمات الصحية لوقاية نفسه وحماية غيره.

وكما يقولون مع كلّ محنة منحة، وهذا كذلك ينطبق على تبعات هذا الوباء الخطير وما نتج عنه من أمور إيجابية نجد من الأهمية بمكان أن نستشعرها لنوظفها خير توظيف، ومن أبرز هذه الوقفات:-

أولاً:- إدراك عظمة الله ﷻ وعجز البشر، فرغم كل المستوى العلمي والتكنولوجي الذي وصل إليه الإنسان حتى أن البعض بدأ يشكك بوجود الله تعالى!! فجاء هذا الفايروس الصغير الذي لا تراه العين المجردة ليُسكت



وهذا يتطلب منا جميعاً الابتعاد عن المعاصي والذنوب والتوبة والأوبة لله تعالى . ونشير في هذا الوضع أننا وإن كنا نجهل أسباب هذا الوباء المسمى - فايروس كورونا - سواء كان بفعل فاعل أو بارتباط في سنن الله الكونية لكنه لا يخرج عن كونه من قَدَر الله إما أن يكون اختباراً للمؤمنين أو إنذاراً للمذنبين أو عقاباً للكافرين الجاحدين.

وأجدها فرصة أن أذكر نفسي والدعاة والخطباء لاستثمار هذا الوضع بالتذكير بالله ﷻ ووجوب اليقين به والتوكل عليه واللجوء إليه، كما يحسن إبراز الآيات والأحاديث المرتبطة بهذا الواقع من أهمية الصحة والأمن والإيمان وضرورة الوقاية وعدم التسبب بالضرر على المجتمع وأفراده، والنصوص في ذلك كثيرة ومتعددة.

ثالثاً :- إدراك أهمية التكافل والتراحم بين أبناء الأمة الإسلامية الذي يجعلها تشعر بالآلام ومصائب بعضها البعض تطبيقاً لمفهوم حديث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حين قال :

«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (مسلم، البر، ٦٦ / ٢٥٨٦)

وبفضل الله ﷻ رأينا كيف تداعى المحسنون من أبناء الأمة لتسيير حملات خيرية توزع فيه طرود غذائية وأدوية ومساعدات نقدية تجلّت فيها أروع صور البذل والعطاء والتراحم والتكافل.

رابعاً :- إدراك واستشعار أهمية الأمن وتوفر الغذاء والصحة والعافية وهذا ما أشار إليه رب العالمين حين قال:

﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قرئش: ٤]

كما أشار لذلك الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم :
«من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا» (الترمذي، ٢٣٤٦)

إننا عندما نرتبط بالله نعظم نعمه ونشكره عليها ونعمل على الحفاظ عليها، لا أن نوظفها - لا قدر الله - فيها يُغضب الله ويُفسد الحياة والعلاقة البشرية.

خامساً :- إدراك أهمية التكافل والتضامن الإنساني من خلال ترسيخ ثقافة التعايش الإنساني ونبت الكراهية، وكثيراً ما أشرت لذلك في المؤتمرات والنقاشات عن إمكانية وجود صور للتعاون الإنساني على مستوى العالم كله إذا شعرنا أن هناك تهديداً قوياً يترصدنا كهجوم من الفضاء أو وباء يفتك بالجميع ، والتعايش دعوة ربانية لنا مصداقاً لقوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]

ونطالب منظمة الصحة العالمية أن يكون لها وقفة جادة تجعل من أبرز أولوياتها تحديد آليات واضحة تعمل على مواجهة أية أوبئة أو فايروسات تصيب البشرية، وألا تدع ذلك للشركات التجارية أو المصالح الخاصة لبعض الدول التي لا تهتم بالإنسان بمقدار اهتمامها بذاتها من خلال احتكار العلاج أو استغلال حاجة الناس له لتحقيق مصالح سياسية أو تجارية مما يؤدي لوفاة الملايين من الناس الأبرياء.

نسأل الله تعالى أن يعجل بفرجه الذي يُريح عالماً من هذا الوباء الخطير ، وأن يجعلنا ممن تتعلق قلوبهم به وأرواحنا بذكره وأن يجعلنا ممن ينشر قيم الخير بين الناس إنه سميع مجيب الدعاء.



COVID-19

فايروس كورونا ومنهج الإسلام

ويحاول نزع الحياة من جوهرها الروحاني المتعلق بالله و رسله و تشريعه . وإن للحديث عن هذا الفيروس محاور كثيرة، وتتوزع بين مناح عدة، ولصعوبة الإحاطة الشاملة بالحديث عن هذا الفيروس، نود التركيز على أن المسلمين أينما وجدوا يمثلون جزءاً من مجموع الناس الذين يسكنون العالم الشاسع، يشاركونهم المعاناة من الكوارث والأوبئة، لكنهم يحتفظون بمنظومة مبادئ وقيم يؤمنون بها، يفترض أن يعملوا وفقها، فتفيدهم في الوقاية من فتك الأوبئة، وفي مواجهتها بجلد وصبر ورباطة جأش.

وللمسلم منهاج قويم في التعامل مع الأمراض والأوبئة تتمثل في مرجعيته الأولى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة و من هذه المبادئ قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا تَابَاتٍ أَوْ انْفِرُوا جَمِيعًا ﴾ (النساء: ٧١)

وهذه الآية تمثل ازدواج لثنائية القلب و الجوارح و التوكل و الأخذ بالأسباب وهذه الثنائية لا تجد الا في الاسلام فالمسلم لا يروعه تسارع الأحداث ولا يعيش في حالة من الخوف و الترقب من المرض و الموت ولكن يأخذ بأسباب الوقاية و السلامة و يتوكل على الله موقناً بأن ما عند الله خير وإن ما اصابه لم يكد ليخطئه . و يعلم أنه مطالب شرعاً بالأخذ بأسباب المرض و أما نتيجة الأخذ بالأسباب عائدة لتقدير الله و قدره المكتوب منذ الأزل.

في ظل الأزمة العالمية الحالية بسبب مرض كوفيد ١٩ او ما يسمى بمرض الكورونا هناك العديد من الاسئلة التي تقدح في الذهن و تجعل الإنسان يطرق التفكير في هذا الكون الفسيح وما فيه من اسرار اودعها الله و خلقها ورتبها بنظام بديع لا يمكن أن تعرف اسراره دون الارتكاز على حقيقة وجود الله الخالق و المدبر لهذا الكون .

قبل ظهور هذا المرض واصابة الشلل العام للحياة في مختلف مناحي المعمورة كانت اصوات منكري الله تعلو و كانت القيم الغربية الغربية عن اسلامنا و مبادئنا تغزو عقول الشباب و المثقفين حتى جاء الله بهذا المرض ليؤكد حقيقة وجوده و حقيقة تدبيره لهذا الكون و حقيقة عجز الإنسان و ضعفه أمام كائن لا يرى بالعين المجردة .

فأين منكري وجود الله لعدم رؤيته هل يستطيعوا أن ينكروا عدم وجود هذا المرض لأنهم لم يشاهدوه ؟ و أين من كان يتباهى بالمادية الجوفاء الجافة من كل القيم الدينية و الانسانية هل يستطيع أن ينكر عجزه و قصور عقله عن تفسير الظهور المفاجيء لمثل هذه الأمراض و كيفية انتقالها السريع حتى اجتاحت بشهور قليلة العالم أجمع ؟

كل هذه الاسئلة و المحاور تؤكد لنا حقيقة كوننا بشر لا نملك من العلوم و المعارف إلا منحنا الله اياها بمحض فضله كما تؤكد على أن جميع البشر عبيد الله لا يخرجون عن محض تدبيره و ارادته على الرغم من يعتقد عكس ذلك

وعلى صعيد الوقاية من الأوبئة، فقد كان للإسلام سبق واضح في الحث على الحجر الصحي، فعن أسامة بن زيد، عن النبي ﷺ أنه قال:

«إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها» (البخاري: ٥٧٢٨)

«لا يوردن ممرض على مصح» (البخاري: ٥٧٧٠)

ومع ما تقدم من حديث عن الأوبئة الفتاكة، من ناحية الوقاية من الإصابة بها، وحصرها في أضيق نطاق، والسعي إلى المعالجة والتداوي وطلب الشفاء منها، ومواجهتها بجلد وصبر ورباطة جأش، دون الوقوع في إشكالات الهلع والفرع.

إن اسبقية الاسلام في طرق الوقاية مسلمة عند كل باحث لا ينكرها إلا جاحد فالاسلام الدين الوحيد الذي جعل الاغتسال والوضوء

واجب على المسلم في اليوم والليلة اكثر من خمس مرات ولكن ما يجب التركيز عليه في هذا الوقت ما هي الواجب على المسلم في هذه الظروف ؟ هل يكفي في

الجلوس في بيته يتابع الأخبار من وراء الشاشات ؟! الإسلام دين حركيّ ابمعنى أنه

دين يدعوا للحركة الدائمة و الدويرة لنهضة الأمم

وسلامتها من الأمراض الجسدية و الفكرية وهذه الحركة لا تتوقف بحال من الأحوال أو بسبب من الأسباب فالمسلمون مطالبون بعمارة الأرض فقد قال الله تعالى

﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود: ٦١)

وهذا الخطاب الرباني عام لجميع الأوقات مع الأزمات والأمراض وغيرها ، فيجب على المسلم أن يسعى تحقيق الهدف من وجوده على الأرض ولا يتوقف حتى يرث الله الأرض وما عليها .

وكذلك الاسلام هو دين اجتماعي قائم على التكافل بين طبقات المجتمع ، فوضع نظام الزكاة حتى لا تكون دولة بين الأغنياء والفقراء و جعل الصدقات من أسباب

غفران الذنوب ، فعل المسلم و العالم كله يواجه أزمة طبية و اقتصادية أن يقف بجانب أخيه الإنسان و يمد له يد العون و المساعدة دون التمييز لدينه او عرقه او مذهبه، فالاسلام قد جاء سلاما ورحمة لكل البشرية مسلمها وكافرها كيف لا ؟ و الله تعالى يقول مخاطبا رسوله محمد عليه الصلاة و السلام "وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين " رحمة للصغير و الكبير و المسلم و للكافر و الرجل و للمرأة هذا هو الاسلام و على هذا يجب أن يسير المسلمون في ظل هذه الأزمة فيصبحوا في ظل هذا الظلام نورا و قبسا من أمل يضيء البشرية وينقذها من أزماتها التي تجر العالم لشفى حفر من الدمار و الحروب و القتل و الدماء ؟ فإذا لم يكن المسلمون للبشرية ينقذوها و يصلحوا اخطاء غيرهم فمن إذن يرفع راية الرحمة و السلام و العون و الغوث في هذا العالم التي غزته المادية و اصبح الجفاء هو الأساس في التعامل بين بني البشر ؟

إن المهمة التي تقع على عاتق المسلمين كما وضحنا لا تقتصر على مجتمعاتهم بل تتسع لتشمل العالم كله هذه المهمة تحتاج من المسلمين أن يشمروا عن ساعد الجذ و يتركوا النوم و تذوب عيونهم من السهر لأجل أن تعود الحياة لسابق عهدا بل أفضل ، ولن يقوم بهذه المهمة في ظل هذه الأمراض و الأوبئة إلا من تسلحوا بالإيمان و أخذوا بالأسباب و أيقنوا بالقضاء و القدر و عرفوا المهمة و سارعوا في البحث و العمل و البذل و العطاء ، ولا يملك العالم أناس يملكون تلك الصفات جميعها إلا المسلمون التي تعول عليهم البشرية الآن لأجل انقاذها بعد فشل الأنظمة و الافكار الغربية في حل هذه الأزمة . و اذا علمت أخي المسلم هذا فلزمه و تيقن بأنك تسارع الخطى نحو مرضاة ربك في التزامك بالأخذ بالأسباب و التوكل على الله و في خدمة بني البشر .

والذي تسبب بإرباك الحياة و تعطيل أغلب مرافقها

وجهة نظر !

يقول طبيب مختص بالقلبية أن اختبار تحميل السكر مضر في الوقت الذي ينصح بإجرائه كل أطباء الحمل والنسائية في العالم ويقولون بضرورته يتحول الأمر إلى قضية رأي عام عجيبة، ولكن مع الأسف لا نجد من يهتم أو يناقش اختبارات الحمل الأخرى التي تكون نتائجها مسألة حياة أو موت، لا بل تتجاوز آثارها الدنيا لتمتد إلى الحياة الآخرة، ولا نرى نتيجة واضحة بشأنها.

والاختبارات التي أشرنا إليها هي الاختبارات المعروفة ب الاختبار الثنائي، والاختبار الثلاثي". ودعونا نوضح المسألة على وجه التقريب دون الدخول في التفاصيل التخصصية والفنية. يتم حساب مدة الحمل الكامل على أساس ٤٠ أسبوعاً، وخلال رحلة الجنين في بطن أمه خلال هذه المدة ينصح بإجراء الاختبار الثاني في الأسبوع ١٢، بينما ينصح بالاختبار الثلاثي في الأسبوع ١٦ تقريباً. يجري التحليل من خلال أخذ عينة من دم الأم الحامل، ومعلومات حول الأم، وصور الأشعة، وقياسات خاصة بالجنين ثم يجري تقييمها كلها عن طريق برنامج معين، لتصدر حسابات أو توقعات حول أمراض محتملة الظهور على الجنين.

قد تقولون:

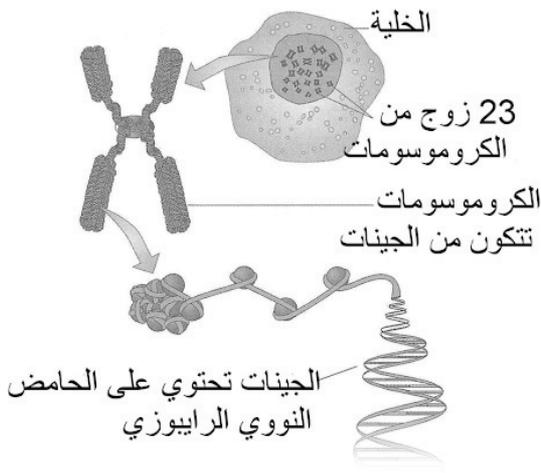
"وما في الأمر؟ إنه عمل رائع، فالناس في الماضي لم يكونوا يعرفون حتى جنس الجنين إلا عند الولادة، أما الآن فقد تطور الطب وهو أمر جيد للغاية".

وقد تُعتبرون محقين فيما تقولون، ولكن يجب أن لا تغفلوا عن أمرين مهمين للغاية.

بينما كان رأس الدولة منهماكماً ومشغولاً بشؤونها الكثيرة والمتشعبة شعر فجأة بالحاجة إلى التدخل، إلى التدخل في لفظ فكري في مجال الصحة، ويدور اللغظ بين "قائل بالأبيض، وراد عليه بالأسود". إن كنتم تذكرون فقد بدأت البلبلة واللغظ بحادثة "اختبار نقل/ تحميل السكر" الذي أجري بينما كان الجنين في بطن أمه. من ينظر إلى هذا الاختبار حيث تُعطى الأم جرعة تحتوي على ٥٠ من الغلوكوز/ السكر لمعرفة ردة فعل الجسم تجاه السكر ومدى تأثيره به، فإنه اختبار بسيط للغاية. إلا أنه وبدعم من الإعلام أصبح تقريباً قضية رأي عام في الدولة.

وبقي الرأي العام لشهور منشغلاً بهذا الاختبار الذي بالكاد يبلغ تأثيره في الجسم تأثير وجبة من الحلوى فيه، بينما لا يتم تداول ومناقشة اختبارات أخرى من الناحية الصحية والتي تكون نتائجها مصيرية. عندما





حالات الإصابة بهذه الحالة ١ من كل ٨٠٠. وقد أطلق على المرض اسم متلازمة داون نسبة إلى الطبيب الذي كان يعد أول من شخص الحالة في القرن الماضي. ويُعرف هذا المرض بالمنغولية أيضاً نظراً لشكل الوجه والعينين الشبيه بالشعب المغولي.

خصائص المرض المهمة:

- شكل الوجه الخاص: ضيق في العينين (بسبب بنية الأجنان)، صغر الذقن، مرونة في نهاية الأنف
- لسان كبير
- ضعف وارتخاء في العضلات.
- قصر الرقبة.
- تجعيدة واحدة في كف اليد.
- ضعف في الإدراك والذكاء، وتأخر في الذاكرة القصيرة والطويلة الأجل: فمثلاً نسب الذكاء في الناس العاديين ١٠٠، بينما تتراوح لدى المصابين بهذا المرض بين ٥٠-٨٠.

-ازدياد نسبة بعض الأمراض لدى المصاب (أمراض القلب، أمراض الغدة الدرقية، أمراض العظام والمفاصل، الأمراض النفسية والعصبية).

بينما تفكر أن كل شيء يسير على ما يرام، والأمور طبيعية يفاجئك تقرير صادر عن أحد الأطباء فينقلب حياتك رأساً على عقب، ويصيبك بالذهول...

الاختبار لا يتحدث عن وجود المرض، وإنما عن احتمال وجوده.

فمن حقكم الخالص تقرير تلقي العلاج من عدمه بالنظر إلى نتائج التحاليل والاختبارات الخاصة بكم (بشرط تحمل النتائج في الدنيا والآخرة). ولكن الشخص الذي يجري الحديث عن احتمال إصابته بالمرض، ويصدر القرار بشأنه إنما هو شخص ثالث (الجنين/ الطفل الذي ينتظر اكتمال أسبوعه الأربعين).

وما هو القرار الذي يجري النقاش حول صدوره؟

هل نقتل هذا الجنين الذي يحتمل حمله المرض؟ أم ندعه ولا نقتله؟

هناك أربعة أمراض مستهدفة في هذه الاختبارات للكشف عن خطر وجودها.

متلازمة إدوارد: نسبة الإصابة بهذا المرض احتمال حالة من عشرة آلاف. ويمكن أن يعيش المصاب عدة سنوات بشكل عام.

متلازمة باتو: نسبة الإصابة قريبة جداً من الحالة السابقة، ولكن المصابون بهذا المرض يموتون بشكل عام قبل الولادة.

عيوب الأنبوب العصبي: حالة يجب الكشف عنها واتخاذ التدابير بشأنها مسبقاً، ولكن يتم تشخيص هذه الحالة عادة بتصوير الأشعة بالموجات فوق الصوتية.

متلازمة داون: وهي موضوع مقالنا هذا.

تحتوي خلايا جسمنا التي تبلغ المليارات وتشكل أجسادنا على الكروموسومات التي تحمل خصائصنا الوراثية. وعادة ما يوجد في الجسم ٢٣ زوجاً من الكروموسومات (أي ٤٦ كروموسوم). وكما يتبين من الشكل فإن لكل كروموسوم رقم. وفي متلازمة داون تتم إضافة كروموسوم آخر إلى الكروموسوم ٢١. فبدل أن يكون عدد الكروموسومات $23 + 2 = 46$ ، يصبح لدينا في هذه الحالة $46 + 1 = 47$ كروموسوماً. وفي النتيجة تظهر مشاكل صحية تؤثر على الكثير من أعضاء الجسم.

كل الفحوصات، وذهبنا إلى عدد من الأطباء، مستحيل أن يحدث هذا"، إلا أن الأمر تطور تدريجياً أكثر من ذلك، فبلغ بهم إلى القول: "لا نقبل بهذا الطفل، لا نريده".

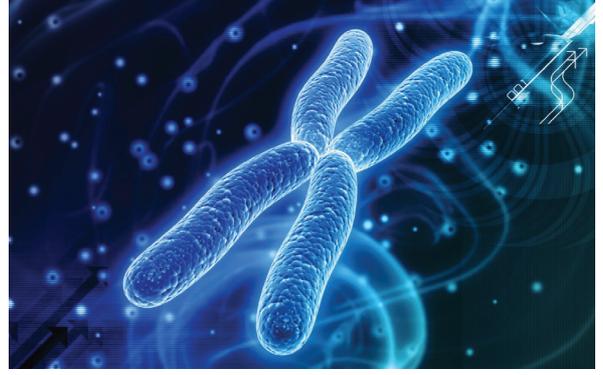
ولم تنفع محاولات العم وهو من كبار العائلة في إقناعهم عندما قال نحن سنأخذه ونريه". فتولينا نحن العناية بالطفل في غرفة الرعاية لأن الحالة النفسية للأم لم تكن تبدو على ما يرام. وعادة يتم وضع المريضة التي تلد بعملية قيصرية تحت المراقبة لمدة يومين، ثم يتم تخريجها، إلا أن الأم ترفض حتى رؤية الطفل. في اليوم الثاني بدت على الطفل علامات ضيق التنفس فاستدعى الأمر وضعه في العناية المشددة لذا امتدت الأزمة أسبوعاً. وبينما كان الأهل يرفضون حتى القيام بالإجراءات البسيطة مثل التوقيع على الأوراق الروتينية، واستخراج بطاقة الهوية للطفل، بدأت الأمور بالتحسن خلال فترة أسبوع، حيث تم تخريج الطفل، وتسليمه إلى عائلته بفضل مساعدة وجهود كبار العائلة.

وفي الوقت نفسه بالتحديد وبينما كنت أقوم بمعاناة الأطفال جاءت عائلة م... بطفلها الثاني المولود في مشفى آخر. فحملت الطفل بين يدي من أجل معاينته، وإذا بي بالعيون الضيقة مرة أخرى...

ولما التفت وتقابلت نظراتي ونظرات عائلته، وقبل أن أتلفظ بأي كلمة بادرا بالكلام بقولهما:

"نعرف أستاذنا الكريم، فهذا الطفل هدية لنا من رب العالمين..."

فتذكرت حادثة مرت بأستاذ في طب الرعاية بالأطفال قبل الولادة. حيث ولد طفل، والفريق الطبي غير متأكد من وضعه الصحي، فالتحاليل والاختبارات مشبوهة ولا تشير إلى نتائج قطعية. وقد تم تسليم الطفل لأهله وتخريجه دون إخبارهم بشيء. ومن



يقول لك الطبيب: "إن احتمال إصابة طفلك بمتلازمة داون مرتفع أكثر من النسب الطبيعية، فعلياً أن نجهض الجنين إن أردت (والأصح دعنا نقله)".

نتحدث بلغة طبية بسيطة حتى لا يصعب الفهم، فالجنين في الأسبوع ١٦ في بطن أمه يكون قد تشكلت أعضاؤه الخارجية، عداك عن تلك الداخلية، فمثلاً في هذه المدة تشكل أذناه، وعينه، وحتى أظفاره.

من فضلكم أريد الإجابة على سؤال: من السهل إصدار الأحكام من الخارج، فهل تعلم صعوبات الاعتناء بطفل معاق؟ من خلال حادثة عرضت لي:

في المشافي النسائية يقوم الطبيب المشرف على الولادة بإحالة الطفل لحظة ولادته إلى طبيب أطفال. ونقوم نحن بدورنا بإجراء الفحوصات والمعاينات الأولية اللازمة ونسلم الطفل إلى عائلته. وإن كان هناك أمر طبي مهم نخبرهم به.

و ذات يوم سلمنا أحد الأطفال لأقربائه كما هي العادة، وطلبنا إجراء مقابلة مع والده على انفراد. وشرحنا له أن مظهر الطفل تبدو عليه علامات (الضيق في العينين... إلخ)، ومن المحتمل أنه مصاب بمتلازمة داون إلا أن الأمر غير أكيد، وإنما هناك حاجة للتريث بانتظار نتائج الاختبار من أجل إعطاء التشخيص القطعي والنهائي.

صدرت من العائلة ردة فعل غير متوقعة أبداً. حيث بدأت ردة الفعل باعتراضات قد يتقبلها الإنسان نتيجة الصدمة النفسية مثل قولهم: "أجرينا

حالة القلب لدى فعل الخيرات

يروى الشيخ موسى أفندي (رحمه الله) الحادثة الآتية: كُنَّا في سفر مع الشيخ سامي أفندي، وفي بلدة أورغوب أوقف رجل حافلتنا وطلب مالاً كي يشتري سجائر، ومع أن بعض المسافرين أبدوا معارضتهم بصمت، قال الشيخ سامي أفندي: «بعد أن طلب منَّا فعلينا أن نعطيه»، فلبوا طلبه. فسُرَّ الفقير بذلك وقال مبدلاً لبيته: «يمكنني الآن أن أشتري خبزاً بهذا المال»، وابتعد عنهم.

العبرة:

فقط عليك أن تخلص النية حين تعمل العمل، وتنظر إلى قلبك، ولا تنظر إلى مَنْ تقدم له خدمتك. إن السلوك والمعاملات حين تكون لرضا الله تعالى وحده، تؤثر في قلب المُخاطَب، وتُحسِّن أخلاقه، لذلك لا بُدَّ أن يتذكر الإنسان دائماً أنَّ حالة قلبه أكثر أهمية من حالة قلب المحتاج أثناء فعل الخيرات. فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«قال رجل: لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تُصدِّق الليلة على سارق، فقال: اللهم لك الحمد، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يدي زانية، فأصبحوا يتحدثون: تُصدِّق الليلة على زانية، فقال: اللهم لك الحمد، على زانية، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يدي غني، فأصبحوا يتحدثون: تُصدِّق الليلة على غني، فقال: اللهم لك الحمد، على سارق وعلى زانية وعلى غني، فأني فقيل له: أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقته، وأما الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها، وأما الغني فلعله يعتبر فينفق مما أعطاه

الله» (البخاري، الزكاة، ١٤؛ مسلم، الزكاة، ٧٨)

بعدها عاود الفريق الطبي الاتصال بالعائلة كل شهر بشكل دوري والسؤال عن وضع الطفل وفي كل مرة يأتيهم الرد: "طفلنا بخير وصحة جيدة".

استمرت الاتصالات مدة سنتين. وفي نهاية المطاف لم يتحمل الأب وتحدث، فقال: أستاذي الكريم نشكرك كثيراً على حسن اهتمامك، وبارك الله بكم، ولكن لا أفهم لم تصرون على الاتصال والاستفسار، فطفلنا بصحة جيدة، ووضعه جيد للغاية... هو فقط مصاب بمتلازمة داون، ولكنه بخير جداً...".

أي أن المسألة مسألة وجهة النظر...

وفي الحقيقة كان تناولنا لهذا الموضوع

بهدف تقديم هذه الرسائل...

ففي مثل هذه الحالات يجب إيضاح المسألة بأدق تفاصيلها. وينبغي أن لا نضع المعلومة القطعية والاحتمال في كفة واحدة.

عندما نتخذ قراراً بوضع حد للحمل وإنهائه علينا أن لا ننسى أننا لا نتحدث عن مادة طيبة، وإنما نحن نتحدث عن الإنسان.

علينا أن نفكر بمصاعب العناية بطفل من ذوي الاحتياجات الخاصة في الحياة، وبالتسهيلات التي تضمنها في دخول اللجنة معاً.

وأخيراً أتقدم بشكري المليء بالاحترام والإجلال والإكرام باسم الإنسانية إلى كل إنسان يقوم بمحبة وتفان على الرعاية والعناية بهؤلاء الإخوان الأبرياء الأصفياء. نسأل الله تعالى أن يكون في عونهم ويسر أمورهم، ويثيبهم في الآخرة ما قدموه من خدمة ورعاية لأبنائهم المحتاجين...



جزيرة الجمال (دهانستان)



والمزينة. والمياه المحيطة بالجزيرة صافية براقية لا تكاد تميز ما إن كان هناك ماء أم لا.

وأول ما يلفت الأنظار في ذلك المكان الرائع هو نظافة البيئة الرائعة. فرمال الشاطئ تلمع كضوء المصباح، والأرض خالية تماماً من القمامة، والطرق نظيفة، وسليمة، ومستوية لا تشوبها شائبة.

المدينة زاهية ومبهرة. فهي لم تتعرف بعد على المحركات، والكهرباء، والمصانع وغيرها من الوسائل التكنولوجية، إلا أن العربات التي تجرها الأحصنة والبغال على الطرقات جيئة وذهاباً تعيد بك إلى أيام الطفولة.

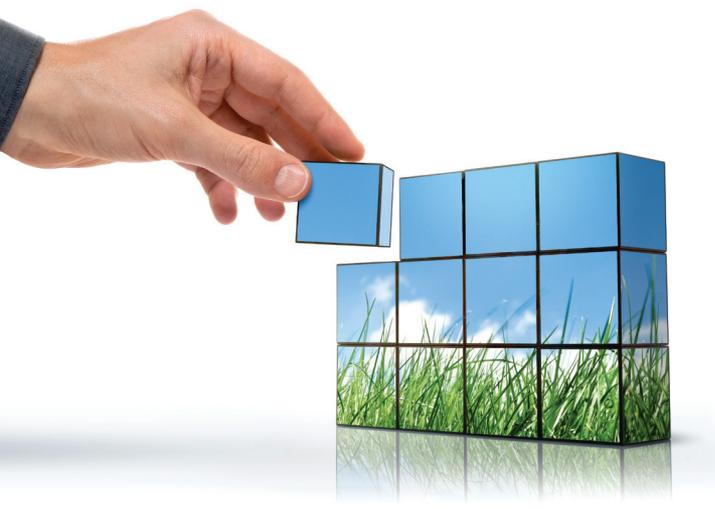
الطبيعة محفوظة، ونظيفة فلم يمسسها تلوث، ولا نهب. فالجميع تناول ما يكفيه، فلم يطمع بالمزيد، ولم يخزن، ولم يتسبب بأي ضرر. وإنما حافظ عليها، وحماها، ورعاها.



عدت إلى البيت في المساء متعباً منهكاً. وبعد أن خلعت ملابسك، وأخذت حماماً فاتراً، وتناولت عشاء خفيفاً، جلست على أريكتك لتشاهد التلفاز. وما إن فتحت الجهاز على أول قناة حتى تفاجأت على شاشتها بعبارة خبر عاجل: يتحدث العلماء عن اكتشاف جزيرة جديدة. "تم اكتشاف جزيرة صغيرة بغاية الروعة والجمال وسط المحيط". قلبت القنوات فوجدتها كلها تنقل أخباراً مباشرة عن هذه الحادثة، وحتى أنها لم تكتف بالأخبار المباشرة عنها، وإنما انتقل بعضها إلى الجزيرة لتبث أخبارها على الهواء من أرض الحدث مباشرة. فتسمرت أمام التلفاز وأنت مندهش لا تكاد تصدق ما تراه عيناك.

جزيرة نظيفة للغاية، وأطلق عليها السكان المحليون اسم دهانستان الذي يعني المملكة الجميلة





دولة عظيمة. يلتقون ببعضهم بالابتسامات، وتبادل السلام والتحيات، وفي بعض الأحيان تراهم يقفون قليلاً ليتبادلوا الأحاديث ويسألوا عن أحوال بعضهم. لا يكاد المرء يستطيع السير والمرور من كثرة الناس، فالزحام يملأ الطرقات، والأسواق، ولكن ليس هناك صخب ولا ضجيج، ولا استعجال، ولا تدافع. وإنما ينسابون في سيرهم كال دراويش وقد طأطأوا رؤوسهم أمام ما خطه القدر، وآمنوا أن كل ما هو آت خير.

تقلب القناة. يقول أحد المراسلين نحن في إحدى مدارس دهانستان، يرجى الانتباه يقطع البث. فيلتف عدد من التلاميذ حول الكاميرا في الحال، فيمسكون بيد المصور للتجوال به في مدرستهم. حديقة المدرسة تظاهي أجمل بساتين الزهور، وكأنها طبيعة مصغرة تحتوي مختلف الأزهار والنباتات. تشعر برائحة الأزهار الفواحة من شاشة تلفازك. وليس في جدران المدرسة مقدار شعرة من الخدوش، والأبواب تلمع من النظافة، فلا يوجد على الأبواب ولا الجدران آثار الأقدام أو غيرها. الصفوف مرتبة منظمة، والعلاقات بين الطلاب والمعلمين رائعة تفوق الوصف. فيصغي التلاميذ إلى حديث المعلمين بكل اهتمام. والشعور الذي يسود المدرسة هو الاحترام. وبهذا الاحترام قد دخل التلاميذ والمعلمون إلى قلوب بعضهم. تتابع بحيرة ودهشة وأنت تشاهد كيف أن كل من يرى المصور يقف ويلتفت إليه باهتمام، ثم يلقي التحية عليه بابتسامة دافئة وينصرف بهدوء.

تركض الحيوانات هاربة من عدسات الكاميرات. فتلك الحيوانات الجميلة، والجميلة، والرائعة التي انقرض نسلها في القارة الأم منذ قرون خلت تابعت حياتها هنا. ويبدو من الواضح أن سكان دهانستان قد أقاموا علاقات طيبة مع حيواناتها أيضاً. فهم لم يحرموها حقها في الحياة، بل قاموا بإطعامها، وحمايتها، وحفظها ورعايتها. ولم ينقرض نسل أي حيوان في الجزيرة. فالسلسلة الغذائية ما تزال قائمة في خلقتها الأولى كما أرادها ربنا عز وجل. فلم تتعرض لأي ضرر أو أذى.

مشاهد الكاميرات التي تعرض البيئة والطبيعة من بعيد سحرتك وأخذت بلبك. فأنت لم تسمع حتى نداء زوجتك وهي تقول لقد جلبت لك الشاي فلا تدعه يبرد.

النباتات الخضراء والأزهار مختلفة الألوان التي تفرش الأرض من الشواطئ وحتى قمم الجبال والتلال كأنها تلقي عليك التحية بنغمات ألوانها الزاهية الساحرة. وتتمايل الأشجار، والنباتات، والثمار بحركات متناغمة مع هبات الرياح وكأنها ترقص منتشية. في هذه الأجواء الخلافة تتابع الطبيعة حياتها بكل أحيائها من نباتات، وأشجار وحيوانات وسط حالة من الوثام والانسجام.

الطرقات مستوية براقه لدرجة أنك تتحاشى السير عليها خشية الإضرار بها. ورغم عدسات الكاميرات التي تتابع التصوير بين الناس، لا يبدو على السكان المحليين أي علامات قلق أو اضطراب. فعلى وجوههم ابتسامة تبعث الدفء بين جوانبك، وفي صدورهم أمان وثقة تندفق إلى قلبك، حتى أنك تشعر بها من بعيد، ومن الشاشة التي تجلس أمامها.

وأول ما لفت انتباهك أيضاً خلوا الأماكن من القمامة. فالناس لا يبصقون على الأرض، ويتابعون سيرهم في الطرقات بكل وقار وتؤدة وكأنهم في مراسم تقيمها

فتحسبهم أقرباء مقربون وليسوا جيراناً. يلعب الأطفال بحماس ومحبة مع بعضهم في أزقة الحي. ولا تجد الجار يقابل جيرانه إلا والابتسامة تملو محياه، فتقف مشدوهاً لهذا المشهد العجيب.

تغير القناة مرة أخرى. ينقل المراسل مشاهد من سوق دهانستان. فتجد أن كل بائع في هذا السوق يستقبل زبائنه بضحكة جميلة ورائعة ترتسم على وجهه، ويقدم له أفضل ما عنده من بضاعة. ولا يأخذ إلا السعر الذي أعلنه بصورة واضحة دون أدنى زيادة. حيث يعلم المشتري كم سيدفع من ثمن مسبقاً. يستحق السوق الذهاب إليه والتسوق منه، فالناس سعداء بهذه الحال، فهذا السوق يوفر للجميع جواً للتبضع وشراء ما يلزمهم من المواد ذات الجودة وبالثمن المناسب دون التعرض للغش والخداع. وأما العاجزون عن الذهاب إلى السوق لشراء حاجياتهم فيطلبونها وهم في منازلهم، وتأتيهم طلباتهم بالوقت والأوصاف المحددة تماماً. ولهذا الهدف فإن أطفال الحي يعملون في توصيل الطلبات بشكل طوعي، ويسلمونها لأصحابها دون مقابل. والثقة بين الأطراف عالية وقوية لدرجة أن المرء لا يشعر بالحاجة إلى فتح علبة طلباته للتأكد أن البضاعة مطابقة للمواصفات التي طلبها. فيشكر من أوصل إليه طلبه بابتسامة ومحبة.

لشدة ثقة الناس ببعضهم هنا تشعر بالفخر والاعتزاز بهم وأنت على بعد آلاف الكيلومترات عنهم.

تغير القناة من جديد. فتجد أن مراسلها قد حل ضيفاً على إحدى الأسر. فيلفت انتباهك الاحترام، والمحبة والمودة المتبادلة بين الزوجين. والأطفال سعداء للغاية وهم جالسون بجانب والديهم، والأزواج تبدو عليهم الطمأنينة والسكينة. يجلس الجد والجددة في زاوية من صدر المنزل وهما ينظران إلى الكاميرا بابتسامة جميلة تأسر القلب. تشاهد بإعجاب ودهشة مملكة لا يتشاجر فيها



قلبت على قناة أخرى فرأيت أن المصور يركب حنطوراً. مقاعده جديدة ليس فيها تمزق أو ثقوب، وتشع من النظافة تحت ضوء الشمس. فمن الجلي أن سكان الجزيرة قد أقاموا علاقة جيدة مع البيئة، ومع الأشياء أيضاً. أخرج سائق الحنطور فاكهة محلية من السلة بجانبه وقدمها للمصور، وبابتسامة حارة يحاول أن يخبره بالراح عن طعمها اللذيذ وضرورة تجربتها. وكلما تقدم الحنطور تشاهد مدى تطور شعب الجزيرة في المدنية. يقف الحنطور أمام كوخ خيزران جميل. إلا أن المصور لشدة إعجابه وانبهاره بالابتسامات الدافئة، وبالفاكهة الطيبة المقدمة له، وعبارات الترحيب والحفاوة وإن لم يفهمها والتي شاهدها على طول الطريق لم يعد يرغب بالنزول من الحنطور رغم وصوله إلى المكان المقصود.

ولكنه نزل في نهاية المطاف. سوف يقوم بالتجول في حي البامبو. يا إلهي! هل يمكن أن يكون هناك مثل هكذا حي؟. فالمنازل قد بنيت بطريقة لا تحجب أشعة الشمس عن بعضها البعض. ورغم بناء المنازل من قصب الخيزران، أي بمواد تسمح بنفاذ الأصوات، إلا أنك لا تسمع ضوضاء وضجيجاً يصدر من جار يمكن أن يسبب إزعاجاً لجيرانه.

إرشادات نبوية

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً،
فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلا كان له
به صدقة»

(البخاري، ٢٣٢٠)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم::

«من أحيا أرضاً ميتة فهي له، وما أكلت العافية
فهو له صدقة»

(مسند أحمد، ١٤٦٣٦)

وقال عليه الصلاة والسلام:

«إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فإن
استطاع أن لا يقوم حتى يغرستها فليفعل»

(مسند أحمد، ١٢٩٨١)

وكان النبي عليه الصلاة والسلام يوصي
أصحابه حينما يبعثهم للجهاد فيقول:

«انطلقوا باسم الله، وفيه: ولا تغرقن نخلاً ولا
تحرقنها، ولا تعقروا بهيمة، ولا شجرة تثمر»

(البيهقي، السنن، ١٨١٢٥)

فهذا غيظ من فيض النصوص الشرعية
المتعلقة بالبيئة وهي تظهر في مشهد فريد مدى
اهتمام الإسلام بالطبيعة وتري أن الله خلق
الطبيعة وسخرها للإنسان وجعله حارساً لها
يستمتع بها لا مدمراً لها

أطفالها، ولا يقتل فيها الأزواج بعضهم البعض. فلا تجد في
الطرق من يصرخ، ويرفع صوته بما يزعج الآخرين، ولا
ترى في الأسواق من يسيء إلى المتسوقين أو يتنمر عليهم.

عندما يقترب المساء يخطر في بالك الزحام والفوضى
في المواصلات. وتذكر الغبار الذي تستنشقه والقادم إليك
من السجادة التي يفضها جارك في الطابق العلوي من البناء.
والدخان الذي ينفثه في وجهك جارك المدخن الواقف في
مدخل البناء دون سابق إنذار يخرجك من سباتك. فيخطر
في بالك المدخن السلبي وأنت أصبحت كذلك رغماً
عنك. الصوت الصاعق القادم من الطابق الأعلى أخرجك
من العالم الذي غصت فيه بخيالك. نظرت فإذا بجارك
المخمور يهاجم كالوحش زوجته، فأصبحت تفكر كيف
توقف هذا الوحش المعتدي. فيخطر في بالك أن تطرق
الباب على جارك المقابل وتطلب منه المساعدة للتدخل
في المسألة، إلا أنك تتذكر أنه في أمس لم يلق عليك حتى
التحية عند التثاقل كما في المصعد، فتراجع عن فكرتك.

في يديك جهاز التحكم، والشاي الذي صار بارداً، وعلى
شاشة القنوات تلك الجزيرة الرائعة، المدهشة والعظيمة
المكتشفة حديثاً، جزيرة الجمال، جزيرة دهانستان...

ولا تلبث لحظات حتى تعود إلى واقعك وحقيقتك.

من جهة الخيال. ومن الجهة الأخرى المشاهد المؤلمة
التي تدمي القلب والتي تمر بها كل يوم. مشاهد الناس،
والمجتمع، والبيئة. فكيف السبيل أن تصبح مملكة الخيال
مملكنا الحقيقية؟



رسالتك إلى ابنتي

سلمان تان

يا زهرة الرمان.

تنوعاً وإبداعاً. ما من شك في أنه قد تشكلت لديك طريقة للتفكير إلا أنك تخرجت من هناك دون أدنى تلوث فكري.

لقد تخرجت ولكن، ولكن نرسلك الآن إلى مأواك الجديد. فهذا اليوم هو اليوم الأول في حياتك الزوجية. وبإذن الله تعالى سيكون مأواك المليء بالسعادة والطمأنينة مدى الحياة.

وأود من خلال هذه الرسالة توجيه بعض الوصايا التي أمل منك ومن ابنا العزيز أن تفتحوه خلال مراحل مختلفة من حياتكم وتقرؤوا ما جاء فيها.

ابنتي العزيزة!

أول ما أريد قوله لك هو أنك ستلاقين احتراماً من زوجك بقدر ما تبدينه تجاهه. واعلمي أنه إن أصبح لك سيداً، فستكونين له سيدة.

أنت معروفة بوجهك البشوش، إنما ليكن وجهك باسمماً لسيدك دائماً. كوني مسامحة، كوني ذات طاقة إيجابية، واحتفظي بحب الحياة متقدماً بين

إنك اليوم تحلقين من عشنا وتطيرين بعيداً. وهذا يوم حزن وفرح بأن معاً الحمد لله على كل حال.

لا أتذكر أنك أسأت إلينا يوماً ما. ونحمد الله أننا لم نشاهد منك سلوكاً أو تصرفاً خاطئاً منذ أيام شبابتك الأولى. دائماً ما كانت مواقفك الحازمة المتسمة باللباقة وحسن التصرف محل تقدير عندي. فقد كنت على الدوام متزنة، كالفراشة في ظرافتك. لقد كنت معتدلة على الدوام.

وعيك دائماً أرضانا. وأكثر ما أحببته من خصالك التزامك بالاستقامة في كل الأمور.

ربما كنت أباً متسلطاً، إلا أن كل ما فعلته كان لأجلك. وآمل أن تمضي حياتك بسلاسة وسهولة على الدوام، ولكنني أعتد أنني ربيتك بسوية تؤهلك للتصدي لأصعب الظروف. ولديك ذاك الصبر والجلد.

كان الفرع الذي درست فيه في الجامعة يحتوي أناساً يرون أنفسهم فنانين، ويعتبرون رفض المقدمات حرية واستقلالية، ظانين أن الاعتداء على قيم المجتمع

وفي الحقيقة فإن الزواج مؤسسة لإضفاء الروحانية على الرغبات النفسية.

واعلمي على أن تكون العائلة بيت أسرار بالنسبة لك. حيث يقول الله تعالى:

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]

ولهذا احرصي على أن لا تخرج قضايا العائلة خارجها. وكوني ذات بصيرة وفطنة في الأقوال والتصرفات التي من شأنها التسبب بالفتنة. كوني أنت، وتجنبي قدر استطاعتك ما يدور بين النساء من أحاديث الغيبة والنميمة. وحاولي أن تحافظي على براءة الطفولة التي بداخلك.

يقول رسول الله عليه الصلاة والسلام:

"إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق" (البيهقي: ٢٠٧٨٢)

أعتقد أن أهم معرفة في هذه الدنيا أن

يعدل المرء بحق نفسه. ولا

يستطيع فعل هذا دهماً

الناس. وأسألي عما ينقصك

من أصدقائك ممن تثقين برأيه.

واستعرضي طباعك الحميدة وطباعك المذمومة،

واعلمي على الاستزادة من تلك الحميدة، والإقلال

من المذمومة. واعلمي أن الخصال السيئة التي

تحرصين على عدم إظهارها لأحد إنما هي مرئية دائماً

ممن تعيشين معهم. أليس حرياً بالإنسان إصلاح نفسه

والتخلص منها؟ والأصح ليس من أجل الناس، وإنما

من أجل الله الذي يرانا في كل زمان ومكان.

كوني من أهل الإنفاق مدى حياتك، واحرصي

على أن تتصدقي وتدخلني الفرحة في قلوب الناس

كلما أتحت لك الفرصة. فهذا العمل يوسع قلبك

ومسكنك، ويدخل عليكم البركة والطمأنينة. وبإمكانك

أنت بالذات أن تخصصي كل شهر جزءاً من دخل

العائلة لصفه في وجوه الخير. ولعل أفضل الخير

الذي تفعلينه بالمال الذي توفرينه من تجنّبك الإسراف.

جوانحك. فهذه الحالة النفسية ستنقذ عشك الزوجي من الرتابة والملل. ومع الوقت لا تدعي اهتمامه بك يغشى على الرحمة لديك، ولا يصيبك بالدلال، وإنما ليكن وسيلة لإيقاظ مشاعر الشكر على النعمة في قلبك.

يقول سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام:

"أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ، وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ، دَخَلَتْ

الجنة" (ابن ماجه: ١٨٤٥)

إن زوجك من الآن فصاعداً محور حياتك. وليكن إخلاصك أكثر ما يكون روحياً. وكوني بجانبه وعوناً له في كل عمل مشروع. وإن صدر منه خطأ فنبهه بكل ود ورقة. واستشيريه، ولا تفتحي أدنى ثغرة للجدال، فالجدال لم يفلح في حل معضلة أبداً. واحتفظي بأدبك في كل الظروف.

زوجك لك من الآن فصاعداً كما أمك وأبيك.

واعلمي أن الحياة إن كانت في أي منزل وفق أوامر

الله تعالى، فإن ذاك المنزل قد ذاق طعم الجنة في الدنيا.

ولذة الحب من المحبوب، ولذة الطعام من المطعم.

واعلمي أنه بقدر ما تكون حياتك وفق معاييرنا

ومبادئنا، فإن أبناءك سوف ينشؤون بذات السوية.

يا فلذة كبدي! تفتح أبواب السماء ليلاً.

فأيقظوا بعضكم في الأسحار. إذ لا ريب أن

القائمين للعبادة في أوقات السحر من عباده الأصفياء.

حيث يقول رسولنا الأكرم عليه الصلاة والسلام:

"من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته، فصليا ركعتين

جميعاً، كتبنا من الذاكرين الله كثيراً، والذاكرات"

(أبو داود: ١٤٥١)

احذري من الغفلة والوقوع فيها، وكونا عوناً

لبعضكم في العبودية لله تعالى. حيث يقول النبي

عليه الصلاة والسلام عن خير الأمور:

"أفضله لسان ذاك، وقلب شاكر، وزوجة مؤمنة

تعينه على إيمانه". (الترمذي: ٣٠٩٤)



السخاء من أجمل
الخصال الحميدة. ومن
أهمها الرحمة. فإن كنت قد أوتيت
هاتين النعمتين فعليك بالشكر والحمد.

وأريد منكما أن تكونا عوناً وسنداً لبعضكما في
القيام بالأعمال الشاقة على أحدكما. وكونوا عوناً
لبعضكما في التغلب على رغباتكما وشهواتكما
الدنيوية المذمومة. لأن تلبية كل ما يعرض للإنسان
من رغبات يقسي القلب، ويقلل الحساسية، ويحجب
المرء عن فهم أحوال المساكين والمحتاجين. وفوق
ذلك فنك ستسألين يوم القيامة "أين أنفقت مالك؟".

يا لؤلؤتي الجميلة!

تعهدني طاقة المحبة التي في داخلك بالتنمية.
واعتني بمأواك بمحبة. وقومي بأعمالك بمحبة. فإن
استطعت فعل كل ذلك بمحبة فإن حالة المحبة سوف
تسود في منزلك وكل المحيط من حولك.

اعطي لنظافة بيتك أهمية، ولكن ليكن اهتمامك
بنظافة قلبك أكبر.

وإن تلقيت كل ما أتاك من الله بالشكر، ولم ترفعي
من سقف تطلعاتك ومطالبك فإن السعادة ستكون من
نصيبك. فالسعادة ليس بالمادة، وإنما السعادة تكون
بالسكينة، والقناعة، وتحقيق الإنتاج بالعمل الذي
تحب. وأما الطمأنينة فتكون بالتسليم لربك أولاً، ثم
تجنب الوقوع في دوامة الطمع والجشع. يظن الناس
أن السعادة في الحياة الدنيا إنما تكون بمزيد من تلبية
رغبات النفس وشهواتها، والحقيقة التي يغفلون عنها أنه
كلما زادت تلبية رغبات النفس كلما تناقصت السعادة.
فهذا الأمر أشبه بلعق القطعة قطعة لحم صغيرة موضوعة
فوق مبرد حديدي. فكلما ذاقت طعم الدم زادت شهية
القطعة، والحال أن الدم الذي تلعه إنما هو دمها.

فحاولوا كبت مطامعكم، وزيادة قناعتكم. فالعاقل
من يدخر ويعمل لمستقبله، ويسعى ويجهد لجوهره.

فعندما لا تسعين خلف الدنيا فإن الله تعالى سوف
يسطها أمامك ويخضعها لك.

لا تجعلي أطفالك، أو المادة أم الثياب معبوداً.
واعلمي أن ما يشغل من الدنيا قلبك أكثر فهو إلهك/
معبودك. وإنك تُمتحنين به بصورة عامة.

فلتكن البراءة والصفاء نمط حياتك، والتفاؤل
نظرتك للحياة. وإن كنت تريد العلاء فعليك بالتقوى.

لا ريب أنك ستعملين وتسعين للنجاح في الحياة
الدنيا. وهذا أمر مطلوب منا. حيث أن الله تعالى يطلب
منا أخذ نصيبنا من الحياة الدنيا، فيقول:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ

مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ...﴾ [القصص: ٧٧]
هناك حاجة ماسة في عصرنا إلى المسلم القوي أكثر
من كل العصور. ويقول النبي عليه الصلاة والسلام:

"المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن
الضعيف، وفي كل خير احرص على ما ينفعك، واستعن
بالله ولا تعجز" (مسلم: ٢٦٦٤)

أكثر ما يرضي الإنسان عند العمل أن يعمل ما يحب.
وهذا ما فعلناه عند اختيار الدراسة، حيث اخترنا الفرع
الذي نحب. فالعمل على ضوء ما نمتلك من مهارة
وموهبة يكون أكثر نجاحاً وإنتاجاً.

لا تمضي أوقاتك بأشياء لا فائدة منها، فالحياة
تمضي بسرعة. افعلي في كل لحظة من لحظات الحياة
ما تتطلبه وتقتضيه تلك اللحظة. أي عيشي اللحظة
جيداً. وليكن لك هدف دائماً. فالسعي من أجل غاية
خاطئة يعرض الإنسان للخسران، وأما مع انعدام الغاية
فيعيش الإنسان حياة فارغة.

فهذه معايير لنا لأجل الحياة الدنيا. ولكن لا تنسوا
أن كل ما يأتيك إنما يتوقف على النصيب الذي قدره
الله لك. وهنا فإننا نعمل المطلوب منا بالشكل الأمثل،
وندع الباقي لله تعالى، ونتوكل عليه.

ابنتي الغالية!

يقال: "إن الذي ليس في صدر الله شيء من القرآن كالبيت الخرب". فاحرصي أن لا يكون لا بيت قلبك، ولا البيت الذي تعيشين فيه خراباً.

ابدئي دعائك بهذه العبارة: "يا بديع السموات والأرض. يا حي يا قيوم. إنا نسألك". فالنبي عليه الصلاة والسلام حين سمع أحد أصحابه يدعو بذلك، قال: "والذي نفسي بيده، دعا الله باسمه الذي إذا دعي به أجاب".

وليكن أساس أدعيتك من أدعية النبي عليه الصلاة والسلام الواردة في القرآن الكريم.

ولتكن الآيات التي تقرئينها كل يوم بتمعن وتدبر من قبيل الآية ٧٤ من سورة الفرقان، والآية ١٠١ من سورة يوسف، والآية ١٩٣ من سورة آل عمران. اقرئي القرآن الكريم بصورة صحيحة مع محاولة فهم ما تقرئين.

وليكن لك ورد مستمر كل يوم. فهذه الجهود يا ابنتي من شأنها أن تعلق قلبك بصاحبه الأصلي.

وتصرفي مع عباد الله باحترام دائم. واهتمي بهموم المسلمين. واعلمي على أن تكوني البلمس الشافي لكل قلب منكسر. فأكبر فوائده تضحيتك في سبيل الآخرين ستكون لك أنت. وأما إن اخترت الراحة والدعة فلا تنتظري شيئاً من أحد. واعلمي أن من يوسع على المرء، ويلبي مطالبه إنما هو الله تعالى.

ينبغي أن تكون كل الأعمال لوجه الله تعالى. فاحرصي على صفاء النية وتجنب الرياء في كل عمل دنيوي وأخروي تقومين به.

واعلمي أنك تكونين كما يكون من يحيطون بك. فعلق قلبك بالله، واحرصي على أن يكون من يحيطون بك من أهل الاستقامة والسلوك الحسن.

يا ابنتي الحبيبة!

كوني من أبناء الآخرة الذين يسعون إلى جنة الفردوس.

وأخيراً أريد أن أقول شيئاً قد

يكون في غير وقته اليوم ولكنه حقيقة آتية إلينا جميعاً لا محالة يوماً ما. وهو أنه سيموت كل منا وحيداً، ويُبعث وحيداً، ويُحاسَب وحيداً. فلا ينسينكم انشغالكم ببعضكم الله تعالى. وليكن من شأن كل مساعيكم وأعمالكم زيادة محبة الله في قلبكم. وليكن رجاؤكم وتضرعكم طلب محبة الله لكم.

إن شاء الله تعالى تصلون بارتباطكم بربكم إلى لذة وعزة نعمة اليقين، وبحر السكينة الروحية. وإن شاء الله تعالى توفقون في امتحان الحياة للإصغاء إلى صوت الروح لا النفس. إن شاء الله تعالى تنالون شرف خدمة أمة محمد عليه الصلاة والسلام. إن شاء الله يكون من نصيبكم القيام بالأعمال المباركة التي تنالون بها رضا الله تعالى. احرصوا على أن تنتفع أمة محمد من يدكم، ولسانكم، وقلوبكم. وأسأل الله تعالى أن لا يحرملكم وذريتكم من الاستقامة، والصدق، والطهارة. وأسأله تعالى أن يجعلنا جميعاً من الذين اختارهم لنفسه كما جاء في القرآن الكريم.

ستكونون سعداء إن خلفتم وراءكم أثراً طيباً. فأثمن شيء يمكن أن يفعله المرء في الحياة الدنيا أن يخلف لمن بعده كل أثر طيب، فهو الرأس المال والغنى الحقيقي الذي يأخذه معه إلى الآخرة.

ابنتي الحبيبة!

كنت دائماً غالية على قلبي.
وأنا على يقين أنك خير خلف.
أقبل عينيك.
والدك.

العلم والحلم

المعرفة والفضيلة

د.إسماعيل لطفي جاكان

عنه أو عدم التوقف عليه كثيراً لأسباب ما ربما. فتعالوا بنا نقيم المسألة معاً:

إن كان العلم يعني المعلومات وتحصيلها، فإن الحلم يعني تمتع صاحب العلم بالتهذيب، والنضج، والاتزان، والطيب، والتؤدة، والانسجام، أي مؤشر على السوية.

ولا شك أن محط البحث عن هاتين الفضيلتين إنما هم أصحاب العلم الذي تلقوا التعليم في المدارس. الحلم محمود كله بعلم وبغير علم. إلا أن العلم دون الحلم ليس إلا واحدة من القيم التي لم تنق من الفظاظة والغلظة ولم تهذب من أشواكها، فهي أشبه بالحديقة المتروكة، فليس لها تأثير وفعالية كبيرة.

العلم في أي ميدان كان إنما هو قيمة باعتباره علماً، إنما الحلم فهو من ضرورات ذلك العلم، ومن مزاياه ومحاسنه التي تعكسه للخارج بمظهر يدعو إلى الفخر والاعتباط. ويمكننا القول أيضاً: العلم والحلم

من البدهي أنه بالتوازي مع الفرحة والبهجة التي ترسم على وجود التلاميذ الذي نجحوا في حجز مقاعد لهم في المدارس والكليات التي رغبوا بها، هناك علامات الحزن والانكسار التي ارتسمت على وجوه الذين لم يتمكنوا من تحقيق ما كانوا يحلمون به.

وفي الحقيقة فإنه من البديهي الذي لا خلاف فيه أيضاً أن نجاح المؤسسات التعليمية بشقيها الرسمي والخاص لا يقاس بمدى استيعابها النسب المستهدفة من قبلها، وإنما يقاس بمستوى وطبيعة إنتاجها، أي الطلبة الذين علمتهم وأنشأتهم. أو هكذا ينبغي أن يكون. إلا أن مفهوم "النجاح" المهيمن على كل مؤسسة تعليمية تقريباً إنما يكون يتمكن الخريجين من الدخول إلى الجامعة، وإيجاد عمل بعد التخرج بغض النظر عن مستواهم.

وهنا أردت وسط مثل هذه الأجواء تناول جانب مهم يشكل في الواقع أساس المسألة، إلا أنه تم التغافل

فضيلتان جميلتان، ومنبعان خاصان يغذي أحدهما الآخر، فالعلم يغذي الحلم، والحلم يغذي العلم. وتُعد كل واحدة من هاتين الفضيلين بمثابة المأوى الآمن والمحدد للآخرى.

فمن الجلي أن الإنسان المتعلم أو الدارس الذي فقد حلمه، واتزانه ونضجه، وحسن سلوكه، وأصبح عوضاً عن ذلك متغطرساً، جلفاً وسيء الخلق، فإنه يكون أسوأ وأفظع شخصية من الإنسان الجاهل. ولهذا السبب وضع الإمام أبو يوسف "المفتي الماجن" من بين الأصناف الخمسة الذين يُحجر عليهم. أليس من الغريب الصبر وتحمل العالم غير الحليم لمجرد علمه؟

عندما نستبين أهمية وضرورة المعرفة والفضيلة، أي ضرورة العلم والحلم لإنشاء المدنية والحضارة، حينها لن يكون من الصعب إدراك كم تكون المعرفة الخالية من الفضيلة، أو الفضيلة الخالية من العلم غريباً عن مفهوم المدنية. وكما يقول المرحوم عاكف:

"أبلغ الحكم مجرد كلمات خاوية، فللخلاص طريق واحد: الارتقاء بأخلاقنا!

إن ما يلزم لمستقبل الشعوب يا بني! قدرتان؛ المعرفة، والفضيلة!

فإن لم يكن لأمة قدرة المعرفة، فلن ترتقي بالفضيلة وحدها، وإنما تهوي في الحضيض.

ولنفترض أن المعرفة موجودة، والفضيلة مفقودة؛ فإن المجتمع معرض في هذه الحال لكارثة لا حدود لها! "

وإن السلوك الناضج، والالتزام بالحلم، والكياسة، واللباقة، والابتعاد عن القسوة والجفوة، والغلظة في التصرف. كلها لمن المزايا التي تعطي الأفضلية لمن تلقوا التعليم.

إن بقي العلم عند حد أو معنى رفع الجهل، فإنه قيمة أيضاً. ولكن إذا ما زاد العلم من الحلم، والأناة،

ولين الجانب فحينها يكون قد حقق ما كان ينتظر منه. فالعالم الذي يجمع في شخصه العلم والحلم، ويقدم نموذجاً كاملاً من السلوك الحسن فإنه يستحق التقدير والاحترام من قبل الجميع.

فالأشخاص الذين إذا ما درسوا ازدادت لديهم الأناية، والقسوة، والجفاء لا يأتي منهم سوى الضرر والإساءة وتقبيح وجه الدراسة والعلم الجميل. وحتى الذين درسوا ولم ينضجوا قد يتسبون في محيطهم بتشكيل أجواء من الكراهية والحقد تجاه أنفسهم، والمؤسسات التي علمتهم. وحتى قد يقال عنهم أنهم ليسوا إلا "أخطاء إنتاجية"، وليت أنهم لم يكونوا.

وإلى جانب الأساتذة الذين يمثلون وقار العلم بشكل عملي وحي، وينجحون في أن يكونوا قدوة حسنة لتلاميذهم وطلابهم، هناك أشخاص يضربون ذلك الوقار بعرض الحائط من خلال سلوكهم وتصرفاتهم السيئة، والفتنة التي لا تنسجم مع هذا الوقار، مما يعني أن العلم لم ينفعمهم بشيء، ولم يتمكن من إشباعهم وإنصاحهم. وإن كان هذا هو الحال فإنه لم يبق للمجتمع سوى أن

ينتظر الكارثة العظيمة وغير المحدودة كما قال المرحوم عاكف..

العلم والحلم فضيلتان جميلتان، ومنبعان خاصان يغذي أحدهما الآخر، فالعلم يغذي الحلم، والحلم يغذي العلم. وتُعد كل واحدة من هاتين الفضيلين بمثابة المأوى الآمن والمحدد للآخرى. وكلاهما ضرورة لإنشاء المدنية والحضارة.

إن الأحوال المتسمة بالقسوة،

والجفوة، والعجب، والتكبر لبعض

المتعلمين ممن يعيشون حياة الشهرة والبذخ تدفع

من يعرفهم عن قرب - بغض النظر عن كيل المديح والثناء لهم والذي قد يملأ الصفحات، ويمتد لأيام، أو أسابيع، أو شهور - إلى الشعور بالألم والأسى منها. ولولا وصايا رسول الله عليه الصلاة والسلام ونصائحه بذكر محاسن من رحلوا، وعدم الخوض في ماضيهم ومساوئهم، - "اذكروا محاسن موتاكم" (أبو داود، الأدب ٤٣؛ الترمذي، الجناز، ٣٤) - لما ترددنا ولا وجدنا صعوبة في العثور على عدد لا حصر له من الأسماء على المستوى المحلي والعالمي لذكرها كأمثلة على أصحاب الألقاب والعلم المحرومين من الحلم.

ليس من الممكن للتصرفات المتسمة بالخشونة، والجفاء، والقسوة، والغلظة، والبعيدة عن الحلم والأناة أن تبعث على الإقبال والجدبية نحو المعلومة. فمن يزيد من تحصيل العلم عليه الاستزادة من الحلم أيضاً. ولا شك أن هذا الصنف هو الذي يستحق المدح والثناء. فالذين يتم وصفهم بالمثل الشعبي "تعلم ولكن لم يصبح رجلاً" هم الذين ينقصهم الحلم. وإن كان هذا الصنف موجوداً في ميدان العلوم الدينية فإن الأمر يبدو أكثر إيلاًماً ووخامة.

ومن جانب آخر فإن الحلم يهيء المناخ المناسب لنشر العلم، وجعل التبليغ والإرشاد أكثر تأثيراً وفعالية. فقد أشار الله تعالى إلى هذه الحقيقة الاجتماعية عندما خاطب النبي عليه الصلاة والسلام حول هذه المسألة، وذلك حين قال:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٩)

ومن الطبيعي جداً أن يكون النبي عليه الصلاة والسلام هو القدوة والنموذج الأفضل في الحلم

إن بقي العلم عند حد أو معنى رفع الجهل، فإنه قيمة أيضاً. ولكن إذا ما زاد العلم من الحلم، والأناة، ولين الجانب فحينها يكون قد حقق ما كان ينتظر منه. فالعالم الذي يجمع في شخصه العلم والحلم، ويقدم نموذجاً كاملاً من السلوك الحسن فإنه يستحق التقدير والاحترام من قبل الجميع.

لكل فرد من أفراد الأمة عامة، ولأهل العلم خاصة. وكما هو معلوم كان رسول الله عليه الصلاة والسلام حليماً، بل في غاية الحلم. ولهذا كان دائماً ما يختار التيسير، والتساهل في علاقاته مع الناس، والبعد عن الغلظة، والتعسير، والغضب، والتشدد. وكان يسامح ويعفو عن كل من يسيء إليه، ولا يغضب إلا للحق. ومهما كان الناس يخاطبونه بكلام فظ وأسلوب خشن، وسيئون التصرف معه، فإنه دائماً ما كان يحافظ على هدوئه، ولينه، ويحسن التعامل حتى مع المسيء. وبذلك فقد أصبح النبي عليه الصلاة والسلام بحلمه ونضوجه أسوة حسنة لجميع أفراد أمته عامة وبشكل خاص وقبل الجميع أهل العلم منهم.

ولا بد من الإشارة إلى حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام:

"العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم" (البيهقي، شعب الإيمان، ٣٨٨، ٧/١٠٢٥٤)

وأخيراً ندعو الله فنقول:

" اللهم أغننا بالعلم، وزينا بالحلم". آمين